مفهوم الشعر فى الجاهلية

الدكتور

فرج السيد راغب مندور

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم الشعر فى الجاهلية

الدكتور

فرج السيد راغب مندور

الأستاذ المساعد بقسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بالزقازيق - جامعة الأزهر

المقدمة

إنّ الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، والصلاة والسلام على أفصح العرب قاطبة نبينا محمد وبارك عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد :

فإن العرب أمة البيان ، ومعدن الفصاحة ، وشعرهم ذروة بيانهم ، وقد بلغت عنايتهم به كل غاية، إذ كان علمهم الذي لم يكن لهم علم أصح منه ، وديوانهم المقيّد لمآثرهم ، والحافظ لمفاخرهم والمسجل لوقائعهم وأيامهم وتاريخهم والمعبر عن وجدانهم وعواطفهم ، والمبيّن عن خواطرهم وأفكارهم ، ولا نجد أمة من الأمم احتفلت بشعرها مثلما احتفل العرب،فقد كانت عنايتهم به أحفل ، واهتمامهم به أقوى ، فأقامت له الأسواق ، وعقدت المنتديات ، وندبت الحكام المشهود لهم بسعة الثقافة ، وسلامة الذوق، ودقة الإحساس بجمال القول ليحكموا بين الشعراء .

تلك هي مكانة الشعر عند العرب في الجاهلية ومنزلته من نفوسهم ، فهل حظي الشعر منهم برؤية فنية وجهد نقدي يوضح حقيقته ، ويكشف عن طبيعته ، ويبيّن مفهومه ؟

إننا إذا تأملنا كتب النقاد العرب القدامى نجدها تكشف عن

مفهوم الشعر بحسب تصوّر هؤلاء النقاد لعملية الإبداع الشعري وصفات المبدع ، كما نجدهم مختلفين حول حقيقة الشعر تبعاً لاختلاف مشاربهم وأذواقهم وثقافاتهم ، إذ فهم كل منهم حقيقة الشعر حسب استعداده الثقافي ومعطيات مجتمعه وعصره ، وأيضاً فإن المعاصرين الذين تناولوا مفهوم الشعر كالدكتور جابر عصفور [١] ، والدكتور عبد القادر القط [٢] ، والدكتور عبد الرؤوف أبو السعد [٣] وغيرهم كان جهدهم منصرفًا إلى بيان مفهوم الشعر في التراث النقدي عند النقاد العرب القدامى ، ولم يتناولوا مفهوم الشعر وحقيقته الفنية عند الجاهليين .

لهذا عقدت العزم وصرفت الجهد إلى دراسة مفهوم الشعر عند الجاهليين متخذاً في ذلك طريقين :

أولهما : دراسة المصطلحات التي أطلقها العرب على كلامهم الموزون المقفى وتوضيح علاقة هذه المصطلحات بمادتها اللغوية وما تدل عليه من معان ودلالات حيث إن ذلك يكشف عن تصورهم للشعر ومهمته في حياتهم .

ثانيهما : التعرّف على رؤية الجاهليين الفنية لحقيقة الشعر وطبيعته ومفهومه كما سجلته أقوالهم وأشعارهم ، وهل كانوا يرونه

---

(١) ينظر كتابه مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ، نشر دار الإصلاح للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الدمام ، والدراسة منصبة على مفهوم الشعر عند ابن طباطبا وقدامه ابن جعفر وحازم القرطاجني .

(٢) ينظر كتابه مفهوم الشعر عند العرب كما يصوره كتاب الموازنة للآمدي ، نشر دار المعارف بمصر (١٩٨٢).

(٣) ينظر كتابه مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي ، – دار المعارف بالقاهرة – الطبعة الأولى – والعنوان يكشف عن مضمون الدراسة وأنها تتناول مفهوم الشعر عند النقاد العرب .

ضرباً من الكلام الموزون المقفى فحسب ؟ أم أنهم كانوا يرون له – مع الوزن والقافية – خصوصية فنية وعناصر وسمات جمالية إذا تحققت أكسبته اسم الشعر ومنحته ما يتميز به من تأثير قوي في النفوس والقلوب؟

ومصادري في هذه الدراسة تتمثل في معاجم اللغة وأشعار الجاهليين والمخضرمين ؛ لأن المخضرمين تشكلت رؤيتهم الفنية للشعر في جاهليتهم وظل شعرهم محافظاً على الشكل القديم بكل تقاليده وأساليبه ، وإن جرت في عروقه بعض الدماء الإسلامية متمثلة في المعاني والأفكار مما دفع ناقداً كبيرًا كمحمد بن سلاّم الجمحي أن يعدهم في طبقات فحول الجاهلية .

ونظراً لأن النص الشعري يدور حول معان مكثفة فقد استشهدنا به في أكثر من موضع تبعاً للفكرة التي نعالجها ، فنرجو ألا يؤاخذنا القارئ الكريم لأن هدفنا من ذلك هو بيان الفكرة وسوق ما يؤيدها من أقوال الشعراء .

ومن الله وحده نستمد العون ، ونسأله التوفيق والسداد ، فهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباحث

د/ فرج السيد راغب مندور

أولاً : مصطلحات الشعر

من المسلّم به أن اللغة العربية تدل ألفاظها على معان تعرف بالمعاني اللغوية أو الأصلية، كما تدل على معان مجازية لعلاقة ومناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى المجازي ، وليست اللغة العربية بدعاً في هذا الشأن فهو أمر موجود في كل اللغات ، وإن كانت اللغة العربية تفوقها جميعاً ، ويعلل العقاد ذلك بقوله : (اللغة العربية لغة المجاز ، ولا تسمى اللغة العربية – فيما نرى – بلغة المجاز لكثرة التعبيرات المجازية فيها، وإنما تسمى اللغة العربية بلغة المجاز لأنها تجاوزت بتعبيرات المجاز حدود الصور المحسوسة إلى حدود المعاني المجردة) [1] .

والعرب قد أطلقوا على كلامهم الموزون المقفى المعبّر عن صوت القلب، وهتاف الروح ، ونبض الوجدان والإحساس . مصطلحات : (الشعر – القريض – القصيد – الأشعار – القصائد – القوافي – القصيدة – القافية) .

وإذا تأملنا هذه المصطلحات نجد :

١- أن هذه المصطلحات تجمعها المواد اللغوية (قفا – قرض – قصد – شعر) .

٢- أن مصطلحات « الشعر – القريض – القصيد » تطلق على جنس الكلام المنظوم . وأن « القافية – القصيدة » تطلق على القطعة الواحدة منه ، وإذا عبروا عن مجموع هذه القطع فإنهم يقولون «الأشعار – القصائد – القوافي».

٣- أن العرب قد أطلقوا هذه المصطلحات على كلامهم الموزون المقفى بطريق المجاز ، لعلاقة وثيقة ومناسبة تامة بين هذه المصطلحات وبين المعاني اللغوية للمواد التي اشتقت منها ،

---

(١) اللغة الشاعرة : ٤٠ .

فالعرب كانوا أصح عقولاً وأحسن أفهاما من أن يقولوا كلاما لا طائل تحته، أو أن يطلقوا مصطلحات لا علاقة بينها وبين المعنى اللغوي لهذه الألفاظ .

٤- لما كثر استعمال هذه المصطلحات صارت في عرفهم حقيقة فيما تدل عليه، والمجاز إذا كثر استعماله لحق بالحقيقة كما يقول ابن جني [١] .

وفي الصفحات التالية بيان للعلاقة بين المصطلحات التي أطلقها العرب على الشعر وبين المعاني اللغوية للمواد التي أخذت منها ، اعتمادًا على كتب اللغة ودواوين الشعراء الجاهليين والمخضرمين ؛ لأن شعرهم هو الوعاء الذي انصبّ فيه رأي عصرهم في الشعر فهو الحافظة التي حفظت لنا رؤيتهم النقدية ، ثم إن الشعراء قريبون من نتاجهم يفهمونه وينقدونه استنادًا إلى الفنية الذاتية ، إذ لا يعرف الشعر إلا من دفع إلى مضايقه كما يقول البحتري[٢]،وأن أهل صناعة الشعر أبصر به كما يقول ابن رشيق[٣] .

أ- القافية / القوافي

القافية مصطلح أطلقه العرب على القطعة الواحدة من كلامهم المنظوم، يقول الشاعر الحارث بن حلزة [٤] .

لا أعرفنّك إن أرسلتْ قافيةٌ ∴ تلقى المعاذير إن لم تنفع العِذَرْ

كما أطلقوا « القوافي » على مجموع القطع منه، يقول الأعشى : [٥]

فما أنا أم ما انتحالي القوا ∴ في بعد المشيب كفى ذاك عارا

وإذا رجعنا إلى معاجم اللغة ، وتتبعنا مادة « قفا » نجدها تدل على المعاني التالية :

---

(١) الخصائص : ٤٤٩/٢ .
(٢) إعجاز القرآن للباقلاني : ١٣٦ .
(٣) العمدة : ١١٧/١ .
(٤) ديوان الحارث بن حلزة : ٦٧ .
(٥) ديوان الأعشى الكبير : ١٠٣ .

١- آخر الشيء : يقول ابن منظور صاحب لسان العرب : « القفا : مؤخر العنق ، وقافية كل شيء : آخره، ومنه قافية الشعر، وسميت قافية لأنها تقفو البيت ، وجمع قافية : قوافٍ » (١) .

فالعرب حين أطلقوا « القافية » على القصيدة ، و«القوافي» على القصائد والأشعار كانوا يلحظون أهمية القافية لأنها الفارقة بين الشعر والنثر، وهذا الإطلاق من باب المجاز المرسل الذي علاقته الجزئية، إذ القافية جزء مهم من أجزاء الشعر بل هي أشرف أجزائه، وأخصها به ، ولأهميتها وشرفها اعتنوا بها، يقول ابن جني : «العناية في الشعر إنما هي بالقوافي، لأنها المقاطع، والقافية أشرف عندهم، والعناية بها أمسّ، والحشد عليها أوفى وأهم » (٢) .

٢- الاحتفاء والإيثار : يقول ابن منظور « اقتفى الشيء : اختاره . وقفوته : آثرته، وأنا قفيّ به : حفيّ، وفلان قفوتي : أي خيرتي ممن أوثر » (٣) . فمادة «قفا» من معانيها الاحتفاء والاختيار والإيثار ، ومن هنا ساغ إطلاق مصطلح « القافية / القوافي » على الشعر، إذ لا يخفى حرص الشعراء على الاحتفاء بشعرهم وإيثاره بعنايتهم، ورغبتهم القوية في تجويده وتثقيفه وتنقيحه حبا له، ورغبة في السبق والتفوق ، فكثيراً ما تغنى الشعراء بقدرتهم على قول الشعر الجيد وكثيراً ما صوروا احتفائهم بأشعارهم وإيثارها باللفظ المختار، والأسلوب الموحي، والمعنى الرائع، والصور البديعة ليكتب لهم السبق، فتروى الناس أشعارهم ويتمثلون بها في منتدياتهم ومجالسهم.

---

(١) لسان العرب : « قفا » .
(٢) الخصائص : ٨٥/١ .
(٣) لسان العرب « قفا » .

يقول امرو القيس[1]:

إذا قلت أبياتا جيادا حفظتها ∴ وذلك أنّى للقوافي مثقّف

وينوه كعب بن زهير بالحطيئة ، مبيناً احتفاءه بتجويد شعره. وإيثاره بعنايته فيقول:[2]

يقول فلا يعيا بشيء يقوله ∴ ومن قائليها من يسئ ويعمل
يقوّمها حتى تقوم متونها ∴ فيقصر عنها كل ما يتمثل

أما تميم بن أبيّ بن مقبل العجلاني فيصور احتفاءه بشعره. وعنايته به، وبذله أقصى الطاقة وغاية الجهد حتى تخرج قصائده للناس على أكمل وجه، وفي أبهى زينة، وأفخم هيئة فيقول : [3]

إذا متّ عن ذكر القوافي فلن ترى ∴ لها تاليا مثلي أطبّ وأشعرا

٣- الذم والهجاء : يقال : « قفوت الرجل : ضربت قفاه. وقفوته : رميته بأمر قبيح، وأناله قفيّ : قاذف . وقفا فلان فلانا : إذا قذفه بما ليس فيه . وقفّى عليه : ذهب به. والقفوة : أن تقول في الرجل ما فيه وما ليس فيه » [4] .

وفن الهجاء من أشهر فنون الشعر وأغراضه، إذ يحفل بذم الأعداء، وهجاء المنافسين، يلصق بهم وبقبائلهم كل منقصة. ويسمهم بمياسم الخزي والهوان، والعرب قد لحظوا ذلك فأطلقوا على شعر الهجاء القافية / القوافي ، وقد ورد هذا المصطلح كثيرا في هجاء الشعراء الجاهليين والمخضرمين، يقول زهير بن أبي سلمى في هجاء بني الصيداء [5] .

أولى لكم ثم أولى أن يصيبكم ∴ منى نواقرَ لا تبقى ولا تذر
وأن تقلقل ركبان المطيّ بكم ∴ بكل قافية شنعاء تشتهر

---

(١) ديوان امرئ القيس : ٣٢٥ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٢) ديوان كعب بن زهير : ٥٩ – ٦٠ .
(٣) ديوان ابن مقبل : ١١١ .
(٤) لسان العرب : قفا .
(٥) شرح شعر زهير : ٢٢٥ .

ويقول الأعشى :[1]

فإن تتّعدني أتّعدك بمثلها ∴ وسوف أزيدُ الباقيات القوارصا
قوافيَ أمثالاً يوسّعن جلده ∴ كما زدت في عرض القميص الدخارصا

ويصور طرفة بن العبد قدرة القوافي على إيذاء الأعداء وإيلامهم لنفاذها إلى مواطن الألم فيهم فيقول :[2] .

رأيت القوافي تتلجن موالجا ∴ تضايق عنها أن تولجها الإبر

ويقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :[3] .

لكل أناس ميسَمٌ يعرفونه ∴ وميسَمُنا فينا القوافي الأوابدُ
فيَشفين من لا يُستطاع شفاؤه ∴ ويبقين ما تبقى الجبال الخوالدُ

وتقول الخنساء :[4]

وقافيةٍ مثلَ حدّ السّنا ∴ نِ تَبقى ويَهلِكُ مَن قالَها

٤- التتبع : وهو من المعاني اللغوية لمادة « قفا » يقال : « قفوت فلاناً : اتبعت أثره ، وقفا أثره : تبعه ، وقفوت الرجل : إذا تبعته »[5] .

ويقول ابن فارس : « القاف والفاء أصل صحيح يدل على إتباع شيء لشيء، يقال : قفوت أثره ، وقفّيتُ فلاناً بفلان، إذا أتبعته إياه، وسميت قافية البيت قافية لأنها تقفوا الكلام أي تتلوه وتتبعه، قفاه : أي تبعه يطلب سيئة عنده . وقولهم : قفوت الرجل: إذا قذفته بفجور ، كأنه أتبعه كلاماً قبيحاً »[6] . وقصائد الذم والهجاء تتبع المهجويين في كل مكان أنّى حلّوا وأنّى ارتحلوا، تفري أديمهم وتلصق بهم ذل الأبد وخزي الدهر .

---

(١) ديوان الأعشى الكبير : ٢٠١ .
(٢) شرح ديوان طرفة : ١٥٩ .
(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ١٧١ .
(٤) ديوان الخنساء : ١٠٦ .
(٥) لسان العرب : قفا .
(٦) معجم مقاييس اللغة : ١١٢/٥ – ١١٣ .

وقد عبّر الشعراء عن هذا المعنى في أشعارهم، وبينوا أن قوافيهم تتبع المهجويين، وتزورهم بكل أرض حلّوا بها أو رحلوا إليها ، بل إنها تشيع في العرب ويتناقلها الرواة وينشدها المنشدون في المجامع والمحافل، يقول بشر بن أبي خازم يهجو بني لأم من طيء[1] .

قوافٍ عُرّم لم يسبقوها ∴ وإن حلّوا بسلمى فالوراق
أجهزها ويحملها إليكم ∴ ذووا الحاجات القلص المناقي

ويقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :[2]

وقد سارت قوافٍ باقيات ∴ تناشدها الرواة بكل وادي

ويهجو أمية بن خلف فيقول :[3]

سأنشر إن بقيتُ لكم كلاما ∴ ينشّر في المجامع من عكاظ
قوافي كالسّلام إذا استمرت ∴ من الصّمّ المعجرفة الغلاظ
تزورك إن شتوت بكل أرض ∴ وترضخ في محلّك بالمقاظ

وضح إذن أن العرب حين أطلقوا على القصيدة قافية وعلى القصائد قوافي لم يكن هذا الإطلاق عبثاً، وإنما نظروا إلى ما تحمله مادة « قفا » في كلامهم من معان بينها وبين الشعر في هيئته وشكله ومضمونه وصفاته من علاقات ومناسبات سوغت لهم هذا الإطلاق الذي اشتهر حتى صار علَما على الشعر، ونود أن نشير إلى أن أكثر الشعر الذي وقع بأيدينا من شعر الجاهليين والمخضرمين في غرض الهجاء والذم والتهديد كان أصحابه غالباً يطلقون عليه اسم القافية أو القوافي .

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم : ١١٦ . عرّم : شديدة شرسة ، القلص المناقي: الإبل الشديدة .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت : ١٩٦ .

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٩٥ – اللام : الحجارة – المعجرفة : الغليظة . ترضخ : تكسر . المقاظ : الموضع الذي يقام فيه وقت القيظ يعني الصيف . الوسق : العدل المشدود بالشظاظين، وهما عودان يكونان في عروة العكم .

ب ـ القريض

القريض مصطلح أطلقه العرب على الشعر من باب المجاز[1]، حتى صار علما عليه واسما له، وما ذلك إلا للعلاقة الوثيقة، والمناسبة التامة بين مادة « قرض » ومعانيها اللغوية وبين الشعر في حقيقته ورسالته ودوره في حياتهم .

فمن إطلاقهم « القريض » على الشعر ما روى في خبر مقتل الشاعر الجاهلي عبيد ابن الأبرص الأسدي أن المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة طلب من عبيد وقد لقيه في يوم بؤسه أن ينشد بعض شعره فقال عبيد « حال الجريض دون القريض »[2] .

ويقول : [3] .

لساني بالقريض وبالقوافي ∴ وبالأشعار أمهر في الغواص

وتقول الخنساء : [4] .

فقد أصبحت بعد فتى سليم ∴ أفرج همّ صدري بالقريض

وإذا تأملنا مادة « قرض » في لسان العرب نجدها تدور حول المعاني التالية :

١ – القَطْع : « أصل القرص في اللغة : القطع، يقال قرضه يقرضه قرضا : قطعه، والمقراض من هذا أخذ، وقرض البعير جرته يقرضها وهي قريض : إذا مضغها أو ردّها »[5] .

فالعرب حين أطلقوا مصطلح « القريض » على الشعر نظروا إلى أن الشاعر يقطع من اللغة وينحت من مادتها ما يجسد به تجربته

---

(١) أساس البلاغة : « قرض » .
(٢) الشعر والشعراء : ٢٦٧ – ٢٦٨ ، العمدة : ٣٥٨/٤ ، والعقد الفريد ٣٢٧/٥ .
(٣) ديوان عبيد بن الأبرص : ٥٦ .
(٤) ديوان الخنساء « تحقيق د/ عوضين » : ٣٩٦ .
(٥) لسان العرب : « قرض » .

الشعرية، كما يفعل الحائك بالقماش والصائغ بالذهب والفضة ، والنحات بالصخر، وقد فطن النقاد العرب إلى هذا فنجد الجاحظ يقول : «إنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير »[1] . أما عبد القاهر الجرجاني فقد صرح بأن الشاعر يشكل تجربته الشعرية بالنظم الذي هو « تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض » [2] . ويقول : « ومعلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة ، وأن سبيل المعنى الذي يُعبّر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار ».[3] .

وقال المظفر العلوي : « سموا الشعر قريضا لاشتقاقه من القرض وهو القطع لأنه يُقرض من الكلام قرضاً، أي يقطع منه قطعا كما يقرض الشيء بالمقراض » [4] .

فهم قد وجدوا الشاعر يكسر نظام اللغة الذي اعتادوه في شؤون حياتهم وأمورهم المعيشية مؤلفا بالتقديم والتأخير والذكر والحذف والاشتقاق وغيرها من طرق التأليف ما يكوّن به كلامه. ويؤلف منه شعره الذي يجسّد تجربته وعواطفه ومشاعره . ولهذا أجازوا له من الضرورات مالم يجيزوه للناثر .

وكثيرا ما وصف الشعراء عملهم في الشعر بعمل الحائك الماهر، والخياط الصنع، فكما أن الحائك يقطع القماش ليصنع منه ثوباً جميلاً يختال به لابسه ،كذلك الشعراء يقطعون من اللغة ما يبنون به شعرهم، ويقيمون عليه قصائدهم التي يقلدونها ممدوحيهم

---

(١) الحيوان : ١٣٢/٣ .
(٢) دلائل الإعجاز : ٤ .
(٣) دلائل الإعجاز : ٢٥٥ .
(٤) نضرة الأغريض : ٨ .

أو مهجويهم، ومثال ذلك في الهجاء قول أوس بن حجر : [1] .

وإن هـرٌّ أقـوام إليّ وحـددوا ∴ كسونهم من حبر برٍّ ممتّحم
يخيـلُ في الأعنـاق منـا خزايـة ∴ أوابدها تهوى إلى كل موسم

ويقول حسان بن ثابت : [2]

قـد حـان قـولُ قصيدةٍ مشهورة ∴ شنعاءَ أرصدها لقوم رُضّع
يغلـى بهـا صدري وأحسن حوكها ∴ وأخالهـا سـتقال إن لم تقطع

أما مثاله في المديح فقول حسان بن ثابت ﷺ : [3]

أكـرم بقـومٍ رسـولُ الله شـيعتهم ∴ إذا تفرقـت الأهـواءُ والشـيعُ
أهـدى لهـم مِـدحي قلـبٌ يـؤازره ∴ فيمـا يحـبُّ لسان حانـكٌ صَنَعُ

ويقول عنترة بن شداد العبسي : [4]

فـدونكم يـا آل عـبس قصـيدة ∴ يلوح لها ضوء من الصبح أبلجُ
ألا إنهـا خـير القصـائد كلـها ∴ يفصّل منها كل ثـوب وينسج

وإذا كانت جرّة البعير التي يمضغها ويردّدها قد سماها العرب قريضا، فكذلك الشعر يردّده الشاعر في قلبه ، ويتغنى به في نفسه، ويسمع به أذنه حتى إذا اطمأن إلى جودته، وخلّوه مما يعاب به. وتنزيهه مما قد يغضّ من بهائه ويُذهب من حُسنه ، أذاعه على الناس، وأنشده في المحافل، وأرسله مباهياً به ومفاخراً ، تقول الخنساء في رثاء أخيها معاوية[5] .

وقافيـة مثـل حـدّ السـنا ∴ ن تبقـى ويهلـكُ مَـنْ قالهـا
زجـرت فأرسـلتها غربـة ∴ وجمجمـت في الصـدر إهمالهـا

---

(١) ديوان أوس بن حجر : ١٢٣ . الحبر : الحُسن . والبزّ الأتحمي : ضرب من برود اليمن . الأوابد : ما تأبد وضرب في الآفاق واشتهر . والمعنى : أهجوهم بشعر يلتبس بهم فيشتهرون به كما يشتهر صاحب هذا اللباس.

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٢١ .

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٠٤ . صنع : أي صانع حاذق .

(٤) شرح ديوان عنترة : ٤٢ .

(٥) ديوان الخنساء : ١٠٦ – ١٠٧ . جمجم : أخفى . والمعنى : أنها جاءت ليس لها مثيل بعد أن نفى فضولها .

نطقت ابن عمرو فسهّلتها ∴ ولم ينطق الناسُ أمثالها

إن الشعر ذو تقاطيع وهي الأوزان والتفاعيل التي تبنى عليها موسيقى الشعر، وكانت العرب تغنى أشعارها في مجالسها ومنتدياتها، وتحدوا به رواحلها، ولذلك كانت تعدّ شعرها وتهيئه للغناء والحداء، وتروضه على ذلك لما في الغناء بالشعر والترنم به من فائدة تعود على صنعة الشعر، بالتهذيب والترقيق والتثقيف والتجويد، فالنابغة حين غُنِّى بشعره في المدينة ظهر عيب الإقواء في شعره ففطن له ولم يعد إليه ، وقال قولته المشهورة : « قدمت الحجاز وفي شعري صنعة، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس » [1] .

ويبين حسان بن ثابت ﷺ ما لتغني الشاعر بشعره وترديده في نفسه أثناء عملية الإبداع من أثر في صنعة الشعر فيقول : [2] .

تغنّ في كل شعر أنت قائلهُ ∴ إن الغناء لهذا الشعر مضمار
يميز مكفأه عنه ويعزله ∴ كما تميزُ خبيثَ الفضة النار

فالغناء مضمار والشعر خيول تتلسبق في هذا المضمار لا يسبق منها إلا الجيد الرصين الذي خلت صنعته وأوزانه وقوافيه من العيوب الفنية . وسَبْق الشعر يكون بكثرة رواية الناس له وتمثلهم به وتغنيهم بأبياته في مجالسهم ومحافلهم ، ولهذا أطلقوا عليه اسم «القَريض» لكثرة تردده على ألسنتهم وأفواههم كما يردد البعير جرّته.

ثم إن العرب نظروا إلى ما للشعراء من ألسنة حداد تفرى أديم من يهاجيهم وتقطع ألسنتهم فيخرسون عن مهاجاتهم. وينقطعون عن ملاحاتهم، فأطلقوا على الشعر اسم «القريض» وقد

---

(١) الموشح : ٤٦ . طبقات فحول الشعراء لابن سلام : ٦٨/١ ، وفي الخصائص لابن جني : ٢٤١/١ « دخلت يثرب وفي شعري صنعة، ثم خرجت منها وأنا أشعر العرب » .

(٢) ديوان حسان (بتحقيق سيد حنفي) : ٢٨٠ .

افتخر الشعراء بألسنتهم الحداد وأشعارهم التي تشوى وجود أعدائهم، وتفرى لحومهم، وتقطع رقابهم ونفوسهم فوصفوها بالسيوف القاطعة، والصوارم البتارة، والمياسم المحمّاة . يقول الأعشى : [1] .

وأدفع عن أعراضكم وأعيركم ∴ لسانا كمقراض الخفاجيّ ملحبا

ويقول أوس بن حجر : [2]

بَنّى ومالي دون عرض مسلّم ∴ وقولي كوقع المشرفيّ المصمّم

ويهدد النابغة الذبياني أعداءه ويحذرهم من ميسم شعره فيقول : [3]

فإيّاكم وعُوراً داميات ∴ كأن صلاءهن صلاءَ جَمْر

أما حسان بن ثابت ﷺ فيصف لسانه وشعره بأنه أشد نكاية من السيف فيقول : [4].

لساني وسيفي صارمان كلاهما ∴ ويبلغ مالا يبلغ السيفُ مِذودي

٢- المجازاة :

من معاني مادة « قرض » المجازاة . يقال : « قرضته قرضا وقارضته: جازيته ، وأصل القرض: ما يعطيه الرجل أو يفعله ليجازى عليه. والمقارضة : تكون من العمل السيئ والقول السيئ يقصد الإنسان به صاحبه ، وقرّضه : إذا مدحه أو ذمه . يقال للرجلين:هما يتقارضان الثناء في الخير والشر : أي يتجازيان » [5] .

فالعرب حين أطلقوا على الشعر مصطلح « القريض » نظروا إلى أن من الشعر ما غرضه المدح أو الذم، وباعثهما ما يجدد الشاعر في الممدوح من مكرمات وصفات حميدة، وما يجدد في

---

(١) ديوان الأعشى الكبير : ١٦٧ .
(٢) ديوان أوس بن حجر : ١٢٤.
(٣) ديوان النابغة الذبياني : ٨٠ .
(٤) شرح ديوان حسان : ١٠٨ . مذودي : لساني والمراد شعري .
(٥) لسان العرب : قرض .

المهجو من نقيصة وأخلاق سيئة فكأن المدح جزاء على حسن الخلق، والذم جزاء للصفات الذميمة، ومن هنا ساغ لهم أن يطلقوا على الشعر اسم « القريض » .

يقول أوس بن حجر[1] :

فعندي قروضُ الخير والشرّ كلّه ∴ فبؤسي لدى بؤسي ونُعمى لأنعُمِ
فما أنا إلا مستعدّ كما ترى ∴ أخو شركيّ الوِرد غير مُعتّمِ

فهو جاهز لمجازاة الناس بأقوالهم وأفعالهم إن خيرا فخير وإن شرًا فشر، وقريحته حاضرة وبديهته مسعفة له على مجازاة الناس غير محتبس ولا متلجلج ، بل إن الشعر يواتيه متتابعا لا ينقطع كما لا ينقطع ماء العين الجارية .

وتقول الخنساء في رثاء أخيها معاوية : [2] .

حديدُ الفؤاد ذليقُ اللسان ∴ يجازي المقارضَ أمثالها

ويقول الأعشى : [3] .

فإن تتعدني أتعدك بمثلها ∴ وسوف أزيد الباقيات القوارصا

والمعنى إن تتوعدني بالهجاء سأرد عليك وأزيد بما يبقى أثره ويؤلم لذعه ويبقى على ألسنة الرواة فلا ينسى .

ويقول أبو المثلّم الهذلي مهددا الشاعر صخر الغيّ ، متوعدا إياه بهجاء مؤلم ردا على هجائه فيقول [4] :

أصخر بن عبد الله إن تك شاعرا ∴ فإنك لا تهدى القريض لِفَحّمِ

أما مزرّد بن ضرار الذبياني فيفتخر بقدرته على مجازاة

---

(١) ديوان أوس بن حجر : ١٢١ . شركى الورد : ماء في إثر ماء أي متتابع .
(٢) ديوان الخنساء : ٨٦ .
(٣) ديوان الأعشى الكبير : ٢٠١ .
(٤) ديوان الهذليين : ٢٢٦/٢ . المفحم : العييّ ومن لا يقدر أن يقول شعرا .

أعدائه بقريض يسمهم بمياسم الذل أبد الدهر فيقول [1] :

فقد علموا في سالف الدهر أنني ∴ معنٌّ إذا جدّ الجراءُ ونابلُ
زعيم لمن قاذفته بأوابدٍ ∴ يغنى بها السارى وتُحدى الرواحلُ
مذكرةٍ تلقى كثيرا رواتها ∴ ضواحٍ ، لها في كل أرض أزاملُ
تكرُّ فلا تزدادُ إلا استنارة ∴ إذا رازتِ الشعر الشفاهُ العواملُ
فمن أرمه منها ببيتٍ يلحْ به ∴ كشامة وجهٍ ليس للشام غاسلُ
كذاك جزاني في الهدىّ وإن أقل ∴ فلا البحر منزوحٌ ولا الصوت صاحلُ
فعدّ قريض الشعر إن كنت مغزرا ∴ فإن غزير الشعر ما شاء قائلُ

فمزرد بن ضرار يحذر أعداءه ، ويذكرهم بقدرته – التي يعلمونها – على الهجاء وأنه إن رد عليهم وناظرهم وجازاهم بقولهم ستكون له الغلبة والتفوق ، فبحره غزير ، وهو قادر على التفنن في القول لا يستعصى عليه شيء، كما يذكرهم بشدة هجائه ويخوفهم قصائده الشديدة القوية التي وصفها بالأوابد التي تضرب في الآفاق، وتسير في كل مكان، حيث يرددها الناس ويتغنون بها لحسنها وجودتها ؛ لأن هجاءه مؤلم وشديد ، فيه خزي لمن يهجوهم ، يلصق بهم أبد الدهر فلا يمحى ، كما لا تمحى الشامة من الوجه.

وكثيراً ما افتخر الشعراء بسيرورة شعرهم، واشتهار قريضهم لجودته وحسنه، فالرواة يتناقلونه في كل مكان، والناس يتناشدونه في محافلهم ويسمرون به في نواديهم، ويتغنون به في

(١) المفضليات : ١٠٠ – ١٠١ . المعنّ : المعترض والمناظر للذي يدخل في كل شيء . الجراء : الجري والمراد الهجاء . نابل : حاذق . زعيم : كفيل . الأوابد : القصائد الغريبة لجودتها في الهجاء. مذكرة : شديدة . ضواح : مشهورة بارزة لكثرة ما يرددها الرواة . رازت : جربت . العوامل : النواطق بالشعر. أليدى : التهادي بالشعر وهو المهاجاة . صاحل : من الصحل وهو بحة الصوت . عدّ : اصرف وتجاوز . المغزر : مكثر القول . ما شاء قائل : أي أن الشاعر المكثر الغزير المعاني لا يستعصى عليه القول في أي معنى شاء .

حلّهم وترحالهم ، ولا يخفى أن من معاني القرض السير في البلاد يقال : «قرض في سيره : عدل يمنة ويسرة » [1] .

ج- القصيد

القصيد مصطلح أطلقه العرب على كلامهم الموزون المقفى . والقصيد اسم جنس جمعي واحدته قصيدة وجمعها قصائد . يقول ابن جني : « إذا رأيت القصيدة الواحدة قد وقع عليها القصيد بلا هاء ، فإنما ذلك لأنه وضع على الواحد اسم جنس اتساعاً »[2] .

والعرب حين أطلقوا على الشعر مصطلح القصيد حتى صار اسما له وعلما عليه قد لاحظوا العلاقة الوثيقة والمناسبة التامة بين الشعر وبين المعاني اللغوية التي تدل عليها مادة «قصد» ، فهي تدور في كلامهم حول المعاني التالية .

١- الكسر بالنصف : يقال : « قصدت العود : كسرته، وقيل : كسرته بالنصف، وانقصد الرمح : انكسر نصفين »[3] . فكأنهم نظروا إلى هيئة الشعر وشكله فوجدوه مكونا من أبيات ، وكل بيت مكون من شطرين متفقين في الحركات والسكنات التي تتألف منها الأوزان والتفاعيل التي بها يكون النغم الموسيقى للشعر ، فأطلقوا على الكلام الذي هذه صفته اسم «القصيد» من باب التشبيه بالرمح أو العود الذي كُسر بالنصف، وسمّوا القطعة منه قصيدة اشتقاقا من القِصْدة وهي القطعة من الشيء إذ انكسر .

إن الشاعر العربي قد اهتدى بفطرته إلى وحدة النغم وأدرك أنها سرّ من أسرار جمال الكلام وقوة تأثيره ، فبنى شعره على شطرين متحدين في نوع الوحدات النغمية وعددها وترتيبها فجاءت

---

(١) لسان العرب : قرض .
(٢) لسان العرب : « قصد » .
(٣) السابق : « قصد » .

الشطور متفقة في وحدة النغم لا يشذ واحدٌ منها عما قبله أو بعده . ولا يخالفهما بالزيادة أو النقصان بل كلها متساوية في الطول والمقدار وزمن النطق كما يتساوى جزأي العود أو الرمح إذا كُسر من منتصفه ، وعلى هذا القدر من التساوي في الوحدات النغمية والأوزان والتفاعيل بنى العرب شعرهم مما سوغ لهم إطلاق اسم القصيد على الشعر .

ولا يقدح في هذا ما أثر في بعض القصائد من اضطراب في الوزن،وعدم التساوي في الوحدات النغمية التي تتكون منها موسيقى القصيدة، كقصيدة عبيد بن الأبرص الأسدي التي مطلعها[1]:

أقفر من أهله ملحوبُ ∴ فالقطبيّاتُ فالذَّنُوبُ

إن من يتأمل ديوان عبيد بن الأبرص يجد أغلب شعره جاء على أوزان بحور « الطويل – والكامل والبسيط » يليها بحري « الخفيف والوافر » ويأتي بعدها بحور «الرمل والمنسرح والسريع والمتقارب » . وهي البحور التي جاء عليها معظم الشعر الجاهلي، وعبيد لم تضطرب موسيقى شعره في هذه البحور فلم اضطربت موسيقى هذه القصيدة دون سائر شعره ؟

والجواب : أن عبيدا من قدامى الشعراء، فهو يمثل الرعيل الأول من الشعراء الجاهليين الذين وصل إلينا شعرهم . يقول ابن سلام : « عبيد بن الأبرص قديم عظيم الذكر عظيم الشهرة ... لا أعرف له إلا قوله :(أقفر من أهله ملحوب ولا أدري ما بعد ذلك) [2] ولذلك حكم ابن سلام الجمحي على شعر عبيد بأنه مضطرب ذاهب .

ويمكن تعليل هذا الاضطراب في موسيقى قصيدة « أقفر من

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص : ١١ . ملحوب : اسم موضع . القطبيات : اسم جبل . الذنوب : موضع في ديار بني أسد .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ١/١٣٨ – ١٣٩ .

أهله ملحوب » بأنه ناشئ من فعل راويها الأول، وعنه أخذ باقي الرواة الذين حاولوا تقويم شذوذها،فكثر فيها الاختلاف لتعدد رواتها .

وبالإضافة إلى ما تقدم نرجح أن عبيد بن الأبرص قد نظم قصيدته في ظروف نفسية غير مواتية، ولهذا جاءت على وزن غير مألوف في الشعر العربي وهو « مخلع البسيط » [1] ، مما أدى إلى اختلال موسيقاها، واضطراب وزنها، ولعل أبا العلاء المعري كان يشير إلى ذلك بقوله [2] .

وقد يخطئ الرأى امرؤ وهو حازم ∴ كما اختلّ في وزن القريض عبيد

٢- القصد لفعل الشيء : وهو من المعاني اللغوية لمادة «قصد » ففي لسان العرب لابن منظور « القصد : الاعتماد والأمّ وإتيان الشيء، قال ابن جني : أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب : الاعتزام والتوجه والنهود والنهوض نحو الشيء »[3] .

لقد أدرك العرب أن الشعر غاية عند الشاعر ، بل هو أسمى الغايات عنده ، إليه يتوجه بكل طاقاته ، وله يشحذ كل ملكاته، ويسخّر كل معارفه ومواهبه حتى يستحق لقب الشاعر ، ويكتب اسمه في سجل الفحول . ولذلك قال الأعشى [4] .

وغريبةٍ تأتي الملوك حكيمةٍ ∴ قد قلتها ليُقالَ مَن ذا قالها

ويقول النابغة :[5]

وقائلة من أمّها واهتدى لها ∴ زياد بن عمرو أمّها واهتدى لها

---

(١) وهو من مجزوء البسيط الذي دخل عروضه وضربه الخبن والقطع فصار وزنه: « مستفعلن فاعلن فعولن » في كل شطر .

(٢) لزوميات أبي العلاء المعرى : ٣١٧/١ .

(٣) لسان العرب : « قصد » .

(٤) ديوان الأعشى الكبير : ١٣٩ .

(٥) ديوان النابغة : ٢٠٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . أمّها : قصد إليها .

ومن هنا ساغ للعرب أن يطلقوا على الشعر اسم « القصيد » وعلى القطعة منه اسم « القصيدة » لأن معنى القصد الإرادي كامن في كلمة « قصيد » وهذا يشير إلى ضرورة أن يعتزم المتكلم قول الشعر حتى تتحقق شاعريته ، وحتى يوصف كلامه بالشعر . يقول ابن جني : « سمّى الشعر قصيدا ؛ لأن قائله جعله من باله، فقصد له قصدا، ولم يحتسه حَسْيا على ما خطر بباله، وجرى على لسانه. بل روّى فيه خاطره، واجتهد في تجويده، ولم يقتضبه اقتضابا، فهو فعيل من القصد وهو الأمّ » [1] . فالشعر سمى قصيدا لأنه قصد واعتمد فالقصيدة ليست تعبيراً عفويا كرد فعل لانفعال عاطفي، ولكنها تعبير عن فكر متأن وخيال عميق .

وإذا تأملنا كلام العرب وجدنا منه الموزون المقفى وبخاصة في الحكم والأمثال والأسجاع [2] ولكنهم لم يسموه شعرًا لأنه جرى عفوا على ألسنتهم ولم يعمدوا إليه ولم يقصدوا وزنه ولا تقفيته، وإنما نطق به القائل على ما خطر بباله، وجرى على لسانه، وليس الشعر على هذا النحو، بل يعمد إليه قائله، ويقصد إليه فيجهّزه باللفظ المختار، والمعنى البديع، والخيال الرائع، والتركيز والتكثيف وتلافي الاستطراد ونفي الفضول؛ لأنه يدرك أن قوة قصيده وجمال شعره إنما

---

(١) لسان العرب : « قصد » .

(٢) من أمثالهم « ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل » وهو على وزن الهزج المجزوء، ينظر مجمع الأمثال للميداني ١٢٣/١ . ومن أمثالهم « إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا » وهو على وزن « مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعل » وهو شطر بيت على أوزان بحر البسيط .
أما أسجاعهم فكثيرة وأشهرها، ما كان من كهان العرب في الجاهلية مثل شق وسطيح ، وما كان من حكامهم كسجع الأقرع بن حابس وهرم بن قطبة ونفيل بن عبد العزى إذ كانوا يحكمون وينقرون بالأسجاع .

ينبع من ألق تركيبه وحسن صياغته .

يقول ابن رشيق: (اشتقاق القصيد من قصدت إلى الشيء وكأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة)[1]. ويقول الجاحظ : « اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل « مستفعلن مستفعلن » كثيرا، و « مستفعلن مفاعلن» ، وليس أحد في الأرض يجعل ذلك المقدار شعرا، ولو أن رجلاً من الباعة صاح : من يشتري باذنجان ؟ لقد كان تكلم بكلام في وزن « مستفعلن مفعولات » ، وكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد إلى الشعر ؟ ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ في جميع الكلام، وإذا جاء المقدار الذي يعلم أنه من نتاج الشعر، والمعرفة بالأوزان والقصد إليها كان ذلك شعرا » [2] .

وقد أشار ابن قتيبة إلى ذلك في خطبة كتابه الشعر والشعراء حيث أعرض عن ذكر من قال اليسير من الشعر ولم يغلب عليه أو لم يشتهر به . فقال : « ولو قصدنا لذكر مثل هؤلاء في الشعراء لذكرنا أكثر الناس لأنه قلّ أحد له أدنى مسكة من أدب، وله أدنى حظ من طبع إلا وقد قال من الشعر شيئًا » [3] .

فابن قتيبة يقرر أن كل ذي طبع ولو ضعيف بمقدرته أن يصوغ أبياتاً أو رجزا في غرض يعنّ له ، ومع ذلك لا يمكن أن يطلق عليه لقب شاعر، لأن الشاعر هو من يقصد إلى قول الشعر ويجيده ويواصل عمل القصائد ونظم الأشعار مدلا بموهبته ، معلنا عن ملكته ومقدرته .

ويقول الباقلاني : « إن الشعر إنما يطلق متى قصد القاصد

---

(١) العمدة : ١/١٨٣ .
(٢) البيان والتبيين : ١/٢٨٨ – ٢٨٩ .
(٣) الشعر والشعراء : ٦٨ .

إليه على الطريق الذي يعتمد ويسلك ، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء، دون ما يستوى فيه العامي والجاهل، والعالم بالشعر، واللسان وتصرّفه، وما يتفق من كل واحد فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر؛ لأنه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر، أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض كان الناس كلهم شعراء » ، ويقول : « وإنما يُعدّ شعرا ما إذا قصده صاحبه تأتي له، ولم يمتنع عليه. فإذا كان هو مع قصده لا يتأتى له، وإنما يعرض في كلامه عن غير قصد إليه لم يصح أن يقال إنه شعر، ولا إنّ صاحبه شاعر » [1] .

وقد صرح الشعراء بأنهم يقصدون إلى قول الشعر، ويعدون له اللفظ الجيد والمعنى المختار ، ويجهزونه بالقول البليغ، والمعنى البديع ، حتى إذا أنشدوه في المجامع ، وأذاعوه في المحافل نال الرضا والإعجاب ، وحظى بالرواية والحفظ وكثرة الإنشاد . يقول طفيل الغنوى [2] .

إني أعدّ لأقوام أفاخرهم ∴ إذا تنوزع عند المشهد التيلُ

ويقول بشر بن أبي خام [3] .

أجهزها ويحملها إليكم ∴ ذوى الحاجات والقلص المناقي

ويقول أبو ذؤيب الهذلي : [4]

فأقسمت لا أنفك أحذو قصيدةً ∴ أدعك وإيّاها بها مثلا بعدى

ويقول الأعشى : [5]

إليكم قبل تجهيز القوافي ∴ تزور المنجدين مع الرياح

---

(١) إعجاز القرآن : ٧٩ – ٨١ .
(٢) شعر طفيل الغنوى : ٣٢ .
(٣) ديوان بشر بن أبي خازم : ١١٦ .
(٤) ديوان الهذليين : ١٥٩/١ .
(٥) ديوان الأعشى الكبير : ٣٩٥ .

٣- الجزالة والحُسن : الجزالة : تعني الجودة والقوة والإحكام. والحُسْن : يعنى الجمال، وكل شيء مُبهج مرغوب فيه لجودة صنعته وتمام خلقه، وإذا تأملنا مادة «قصد» في لسان العرب نجدها تدل على هذا المعنى : (القصيد : اللحم السمين ، والمخ السمين الذي يتقصد أي يتكسّر لسمنه، وسنام البعير إذا سمن . يقال ناقة قصيدة وقصيد : أي سمينة ممتلئة جسيمة بها نقىّ أي مخ . والقصدة من النساء:العظيمة الهامة التي لا يراها أحدّ إلا أعجبته»[١]

إن العرب حين رأوا الشعر محكم الأسلوب قوى البناء رائع الصور لذيذ النعم حسن التأثير في النفوس والقلوب أطلقوا عليه اسم « القصيد » وأطلقوا على القطعة الواحدة منه اسم « القصيدة » وسموا مجموع القطع باسم « القصائد » ، وهذا الإطلاق على سبيل المجاز، فقد كانوا يستعيرون الجزالة والسُمْن للكلام المحكم فيقولون : هذا كلام سمين أي جيّد ، وعمر بن الخطاب ﷺ يقول : « الشعر جزل من كلام العرب يسكن به الغيظ وتطفأ به الثائرة ، ويتبلّغ به القوم في ناديهم » [٢] .

فالقصيد ما كان جزل الكلام، محكم الأسلوب رائع المعنى، حسَن البيان قوي التأثير، وجزالة الشعر وحسنه تأتي من أساليبه المحكمة، وبنائه القوى، وصوره الرائعة، ومعانيه الجيدة ، ولذلك سميت الأشعار بالقصيد من الاقتصاد بمعنى التركيز وتلافي الاستطراد ونفي الفضول، لأن قوتها الشعرية تنبع من ألق تركيبها وبنائها المحكم، وكثيراً ما افتخر الشعراء بقدرتهم على إحكام بناء شعرهم، وتجويده، وتثقيفه، وتنخله باستقصاء أفضله وجيده، وتوفير كل

(١) لسان العرب : « قصد » .
(٢) العقد الفريد : ٥/٢٨١ .

عناصر الحسن والجمال له يقول الأعشى [١] .

فقد كملت حسنا فلا نعت فوقها ∴ وإنّي لذو قولٍ بها متنخّلِ

وقد تغنى الشعراء وافتخروا بجمال قصائدهم وحسن أشعارهم لما تحمله من لذة النغم وحلاوة الإنشاد ، ودقة الصوغ ، وإحكام الصنعة. وبراعة الوشى والتحبير . يقول أبو قَردودة الطائي يرثى عمروبن عمار قتيل النعمان ونديمه [٢] .

يا حفنة كإزاء الحوض قد هدموا ∴ ومنطقا مثل وشى اليمنة الحَبَرد

ويقول حميد بن ثور الهلالي :[٣]

قصائد تستحلى الرواةُ نشيدَها ∴ ويلهو بها من لاعب الحيّ سامرُ

ويقول أبو ذؤيب الهذلي :[٤]

بذلت لهن القول إنك واجدٌ ∴ لما شئتَ من حلوِ الكلامِ مليحِ

ويقول حميد بن ثور :[٥]

أجدّ بليلى مدحة عربية ∴ كما حبّر البردُ اليماني المسبّغ

ويقول عبدة بن الطبيب : [٦]

ثم اصطبحت كميتاً قرقفاً أنفاً ∴ من طيّب الراح واللذاتُ تعليلُ

صرفا مزاجا، وأحيانا يُعللنا ∴ شِعرٌ كمُذهَبة السَّمّان محمولُ

تُذرى حواشيه جيداءُ آنسةٌ ∴ في صوتها لِسماع الشّرب ترتيلُ

ويجمع أبو شريح العمير لشعره الجمال المعجب، وحسن التحبير، ولذة الإنشاد، وحلاوة النعم فيقول[٧]:

---

(١) ديوان الأعشى : (الصبح المنير في شعر أبي بصير) ٢٢٦ .

(٢) البيان والتبيين : ٢٢٣/١ .

(٣) ديوان حميد بن ثور : ٨٩ .

(٤) ديوان الهذليين : ١١٧/١ .

(٥) ديوان حميد بن ثور : ١٠٨ .

(٦) المفضليات : ١٤٥ . الكميث : الخمر . قرقفا : تصيب شاربها رعدة . يعللنا شعر : يلهينا غناء القيان به. السمان : الأصباغ التي تزوق بها السقوف . محمول : يرويه الناس لحسنه . تذرى حواشيه ترفع صوتها بالغناء تطريبا وترجيعا .

(٧) دلائل الإعجاز : ٥١٣ . أبو شريح العمير لم نعثر له على ترجمة .

فَإنْ أَهْلَكَ فقد أبقيتُ بَعْدِي ∴ قَوافِيَ تُعجِبُ المُتَمَثِّلِينَا
لذيذاتِ المَقاطِعِ مُحكَماتٍ ∴ لَوَ أنَّ الشِّعرَ يُلبَسُ لارتَدِينا

على هذا النحو من العناية والرعاية حرص الشعراء الجاهليون والمخضرمون على أن يوفروا لشعرهم كل عناصر الجزالة والحسن، بإحكام البناء وحسن التحبير حتى أن بعضهم قد شهر بذلك. يقول الأصمعي : « كان طفيل الغنوي يسمى في الجاهلية محبّرا لحسن شعره » [1].

وقال الزمخشري : « كان مهلهل يحبّر شعره » [2] والتحبير هو التزيين والتحسين. يقول ثعلب: « الحبير كل شيء زُيّن وحُسّن. وكل شيء هيئ فهو حبير»[3].

٤ـ السهولة وعدم المشقة :

إذا كان الشعر بناء لغويا يبنيه الشعراء، ويجتهدون في بنائه، ويتكلفون المشاق بضربهم في اللغة بمعاول أذهانهم

ـ فيما بين أيدينا من كتب التراجم والرجال والبيتان ذكرهما الجاحظ في البيان والتبيين ١/٢٢٢ بدون عزو لأحد ، وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري: ١/١١ أن قائل هذين البيتين قديم . وقد ذكر الشيخ محمود شاكر رحمه الله بأن أبا شريح العمير شاعر جاهلي ينظر دلائل الإعجاز . بتحقيق الشيخ محمود شاكر ص ٥١٣ . وأكد على جاهلية صاحب البيتين في كتابه « نمط صعب ونمط مخيف » ص٢٠٨ .
وأقول : لعله من بني العمير بن عبشمس بن سعد بن زيد مناة من تميم ينظر الاشتقاق : ٢٦٢/٢٤٥ ، وفي معجم الشعراء للمرزباني ذكر لشاعر جاهلي قديم من بني تميم يكنى أبا شريح واسمه عمرو بن عمرو بن عدس التميمي.

(١) سؤالات أبي حاتم للأصمعي : ٣٣ . والشعر والشعراء : ٤٥٣ . والعمدة . ١/١٣٣ .
(٢) أساس البلاغة : ١١٠ « حبر » .
(٣) مجالس ثعلب : ٢/٥٧١ .

ليستخرجوا منها قصائدهم وأشعارهم فإن ذلك العمل أمر سهل على الشاعر الموهوب صاحب الطبع الأصيل والملكة القوية والقريحة الصافية.

ولعلهم لاحظوا ذلك فأطلقوا على الشعر اسم « القصيد » حيث إن من المعاني التي تدل عليها مادة « قصد » السهولة وعدم المشقة يقال : « طريق قاصد : سهل مستقيم ، وسفر قاصد : سهل قريب غير شاق . والقصد : استقامة الطريق » (١) .

فحين أطلقوا على الشعر اسم « القصيد » فطنوا إلى أن الشاعر الموهوب لا يلتوى عليه الكلام ، ولا يصعب عليه المعنى الذي يريد، وكثيرا ما افتخر الشعراء بقدرتهم على نظم الشعر ، وتصريف القول في شتى فنونه وأغراضه، فالشاعر المخضرم الأغلب العجلي يقول: (٢)

أرجزاً تريدُ أم قصيدا ∴ لقد طلبتَ هيِّنا موجودا

وبدر بن عامر الهذلي يصرّح بقدرته على التعبير في كل فنون الشعر فيقول : (٣)

ولقد عرفت القول يأتي ساكنا ∴ ولقد عرفت مقالة التخشين
ولقد نطقت قوافيا إنسية ∴ ولقد نطقت قوافي التجنين

أما عبيد بن الأبرص فيقول : (٤)

سل الشعراء هل سبحوا كسبحي ∴ بحور الشعر أو غاصوا مغاصي
لساني بالقريض وبالقوافي ∴ وبالأشعار أمهر في الغواص
من الحوت الذي في لُجّ بحرٍ ∴ يجيد السبح في اللّجج القماص

٥- القتل : وهو من المعاني اللغوية لمادة « قصد » ففي لسان العرب الاقتصاد : القتل ، وأقصدته حيّة : قتلته . وأقصد السهم

(١) لسان العرب : قصد .
(٢) الأغاني : ١٥/٢٩٧ .
(٣) ديوان الهذليين : ٢/٢٦٦ .
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص : ٥٦ .

: أي أصاب فقتل ، وأقصدت الرجل : إذا طعنته أو رميته بسهم فلم تخطئ مقاتله [1]. ويقول ابن فارس : (أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه ، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه) [2].

والعرب قد لاحظوا تأثير الشعر وبخاصة فن الهجاء فوجدوه ذا تأثير مميت على من رُمي به قبيلة كان أو رجلا فأطلقوا عليه اسم « القصيد » ثم شاع الاسم فعم كل شعر سواء كان في الهجاء أو في غيره من فنون الشعر الأخرى .

فإذا كان القتل بالسيف أو بالسهم أو بالحية قتلا حقيقيا بإزهاق الروح وإتلاف الجسد فإن شعر الهجاء يقتل المهجويين قتلا معنويا. ويهلكهم هلاكاً نفسيا حيث يقضي على مكارمهم ويعفّي على مآثرهم ، ويسمهم بمياسم الذل والعار، ويُلحق بهم خزي الأبد إذ لا يقف تأثيره على من هُجي به وحده بل يعم الحيّ والقبيلة بأسرها، ويلحق خزيه بالأبناء والأعقاب جيلا بعد جيل .

يقول حميد بن ثور : [3].

لاعترضن بالسهل ثم لأحدون ∴ قصائدٌ فيها للمعاذير زاجرُ
يغضّ عليها الشيخ إبهامَ كفّه ∴ وتخزى بها أحياؤكم والمقابرُ

فالهجاء قتال وحرب يهدف به الشاعر محو عدوه بتعداد معايبه وسلبه كل فضيلة ، وتجريده من كل ما يفخر به ليغدو صفرا من المكارم ، عاطلا من الفضائل، وقد صرّح الشعراء بأن الهجاء قتل فهذا شاعر يقول : [4]

ولقد قتلتُك بالهجاءِ فلم تمتْ ∴ إن الكلابَ طويلةُ الأعمارِ

وكم من قبيلة كانت ذات عز ومجد وشرف ورياسة حط الهجاء

---

(١) لسان العرب : « قصد » .
(٢) معجم مقاييس اللغة : ٩٥/٥ .
(٣) ديوان حميد بن ثور : ٨٩ .
(٤) الحيوان ١٩٦/٢ .

من قدرها وذهب بمكارمها، وكتب الأدب والأخبار تحفل بقصص القبائل التي وضعها الشعر، وأزرى بمكانتها كبنى عبد المدان الحارثيين الذين كانوا يفخرون بطول أجسامهم ، وقديم شرفهم ولما هجاهم حسان بن ثابت ﷺ صاروا يستحون من ذكر أجسامهم بعد أن كانوا يفخرون بها قال حسان بن ثابت يهجوهم : (١)

لا بأسَ بالقومِ من طُولٍ ومن عِظَمٍ ∴ جسمُ البِغَالِ وأحلامُ العصافيرِ

ومثل بني نمير الذين كانوا أشراف قيس وذؤابتها حتى قال فيهم جرير قصيدته الفاضحة التي منها : (٢)

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُمير ∴ فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابا

فما بقى نميري بعدها إلا طأطأ رأسه، ومات سيدهم وشاعرهم الراعي النميري من سنته غما وكمدا .

يقول الجاحظ : « وما علمت في العرب قبيلة لقيت من جميع ما هجيت به ما لقيت نمير من بيت جرير وفي نمير شرف كثير، وهل أهلك عَنَزة، وجَرْما، وعُكلا ، وسلول، وباهلة، وغنيًا، إلا الهجاء ؟ . وهذه قبائل فيها فضل كثير وبعض النقص، فمحق ذلك الفضل كلَّه هجاء الشعراء » (٣).

فالهجاء قتل معنوي ، ولذلك حرص السادة والأشراف على تجنب ألسنة الشعراء بكل غال ونفيس، وبذلوا كل ما في وسعهم حتى لا يتعرضوا لألسنة الشعراء، وأجهدوا أنفسهم وكلفوها العزيز من ذواتهم وأموالهم، إذ حَسَبُ الرجل الذي يرى في نفسه خيرًا وشرفًا بيتٌ من الشعر يقلب شرفه ضَعَةً وصغارا ، يقول ابن رشيق :« ولسير الشعر على الأفواه تجنب الأشراف ممازحة الشاعر خوف

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٦٦ – ٢٦٧ والعقد الفريد لابن عبد ربه ٣٢٨/٥ .

(٢) العقد الفريد ٣٢٩/٥ ، والعمدة ٥٠/١ .

(٣) البيان والتبيين : ٣٦/٤ .

لفظةٌ تسمع منه مزحًا فتعود جدا » [1].

ولم يسلم أحدٌ من سادة العرب وأشرافهم من الهجاء ، فإذا كان السادة والإشراف يحرصون على كل خلال الخير والمجد إلا أن للشعراء عينا بصيرة بالعيوب فإذا أُغْرِي الشاعر بسيد كريم، أو بدر منه ما يثير سخط الشاعر، أصلاد الشاعر بنيران الهجاء فأعلن ما خفى من عيوبه، ونشر ما هو مجهول من سوءاته . ولشدة وقع الهجاء بكى منه السادة والأشراف ، فسيّد بني مازن مخارق بن شهاب بكى حتى ابتلت لحيته خوفاً من هجاء شاعر استغاثه فلم يغثه وقال : « والله لئن هجاني ليفضحنّى قوله ولئن كفّ عني ليقتلني شكره » [2].

وبكى علقمة بن علاثة العامرى من قصيدة الأعشى الصادية [3]. وبخاصة بيته الذي يقول فيه :

تبيتون في المشتى ملاءٌ بطونكم ∴ وجاراتكم غرثى يبتن خوامصا

فلما بلغ علقمة هذا الشعر بكى، فكان بكاؤه زيادة في العار . والعرب تعيّر بالبكاء كما يقول أبو هلال العسكري [4]. ولكن الجاحظ يَعُدّ بكاء العرب من الهجاء أمارة على الكرم والشرف فيقول: « ولأمر ما بكت العرب بالدموع الغزار من وقع الهجاء ، وهذا من أول كرمها، كما بكى مخارق، وكما بكى علقمة بن علاثة، وكما بكى عبد الله بن جدعان » [5].

وبلغ من خوف العرب من الهجاء ، وفرقهم منه أنهم كانوا يصانعون الشعراء ويجزلون لهم العطاء إذا قصدوهم أو مروا

(١) العمدة : ٧٧/١ .
(٢) البيان والتبيين : ٤٢/٤ .
(٣) ديوان الأعشى الكبير : ٢٠١ .
(٤) ديوان المعاني : ١٦٨/١ .
(٥) الحيوان : ٣٦٤/١ ، ٣٥٢ ، ٩٠/٢ .

بديارهم ، ويطلقونهم إذا وقعوا في الأسر إكراماً وتخوفا، وإذا أبوا إلا أسره قطعوا لسانه أو شدوه بنسعة حتى لا يهجوهم يقول الجاحظ : « ويبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السبّ عليهم ، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب، ويُسبّ به الأحياء والأموات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق، وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعبد يغوث بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تيم يوم الكُلاب » (١).

وإذا تأملنا شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين في فن الهجاء وجدناهم قد تفننوا في وصف اللسان وربطوا بينه وبين أدوات الحرب والقتال وغيرها من الأدوات التي من شأنها القتل والإهلاك كالسم والنار والدخان والسلّ ، كما نجدهم قد وصفوا قصائدهم بالصواعق القاتلة ، وبالميسم والجمر الذي يتلظى الأعداء حرّه ويبقى أثره أبد الدهر، كما وصفوها بالدخان الذي يكتم أنفاس الأعداء فيخنقهم أو يسدّ عليهم السبل فلا يهتدون.

فعبيد بن الأبرص الأسدي يفتخر بقدرته على الهجاء الذي يحطم الأعداء فلا يستطيعون له دفعًا ولا ردًا ؛ لأن وقعه على النفس كوقع الصواعق و الدواهي المهلكة التي تترك من أصابته مشرفاً على الموت والهلاك . فيقول : (٢).

---

(١) البيان والتبيين : ٤٥/٤ ، بنو تيم بن عبد مناة بن أد بن طانجة بن إلياس بن مضر ، ويعرفون بتيم الرِّباب . وبنو تيم قتلوا عبد يغوث بن وقاص الحارثي لما أسرته يوم الكلاب ثأرا بقتل فارسهم النعمان بن جسّاس . ينظر : = = الاشتقاق لابن دريد : ١٨٥ .

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص : ٦٠ – ٦١ . أبن : عائب . هضيض من هضه : ألمه وحطمه. النحوض : اللحم . انبرت : انقطعت . الصقع بالغر الأوابد : الرمي بالقصائد التي يكون فعلها في النفس كوقع الدواهي. الجريض: المائت . من جرض يريقه أي غص في ساعة الموت.

ألستُ أشقَ القولِ يقذفُ غربُه ∴ قصاندَ منها آبنٌ وهضيضُ
وكم من أخي خصمٍ تركتُ وما به ∴ إذا قلتُ في أيّ الكلامِ نحوضُ
قطعتُ به منكَ الحوامل فانبرتْ ∴ فما بكَ من بعدِ الهجاءِ نهوضُ
صقعتك بالغرّ الأوابدِ صقعةً ∴ خضعتَ لها فالقلبُ منك جريضُ

ويحذر النابغة من أثر هجائه فيقول : (١)

فإياكم وعوراً ذاميات ∴ كأن صلاءهن صلاءُ جمرِ

ويقول خفاف بن ندبة : (٢)

وإن قصيدةً شنعاءُ مني ∴ إذا حضرتْ كثالثةِ الأثافي

أما حسان بن ثابت فيجعل هجاءه سم حيّة صمّاء مطرقة فيقول : (٣)

قولي لكم آلَ شجعٍ سُمّ مطرقةٍ ∴ صمّاء تطحرُ عن أنيابها القُذَرا

ويقول النابغة : (٤)

ماذا رزئنا به من حيّة ذكرٍ ∴ نضناضةٍ بالرزايا صِلّ أصلالِ

ويتهدد حسان بن ثابت أمية بن خلف ويتوعده بهجاء يجعله يغض طرفه خزيا ومهانة ، لأنه هجاء محكم الأسر ، متين البناء مملوء بالشرّ والعار، كأنه لشدة وقعه وعظيم أثره نار محرقة ، أو أنياب أسد يذود عن عرينه، وقد بدا عليه الغضب والشر فيقول : (٥)

بنيتُ عليكَ أبياتاً صلابا ∴ كأمرِ الوَسْقِ قصّصَ بالشّظاظِ
مجلّلةً تعممه شناراً ∴ مضرّمةً تأجّجُ كالشواظِ
كهمزةِ ضيغمٍ يحمي عرينا ∴ شديدٍ مغارزِ الأضلاعِ خاظي
تغضُّ الطرفَ أن ألقاكَ دوني ∴ وترمي حينَ أدبرُ باللحاظِ

ويهدد عنترة بن شداد العبسي بني العُشَراء من ذبيان لقتلهم قرواش بن هني العبسي فيقول (٦) :

---

(١) ديوان النابغة : ٨٠ .
(٢) شعر خفاف بن ندبة : ١٣٤ .
(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٧٨ .
(٤) ديوان النابغة : ١٦٥ .
(٥) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٩٥ .
(٦) شرح ديوان عنترة : ٥٣ . العلندى : جبل لم يُر إلا والدخان يخرج من رأسه . يحتديكم : يطلبكم .

سيأتيكم عني وان كنتُ نائيا ∴ دخانُ العَلَنْدَى دُون بيتي مذؤدُ
قصاندٌ من قيلٍ امرئ يحتديكم ∴ بني العُشَراءِ فارتَدوا وتقلَّدوا

أما لبيد بن ربيعة فيفخر بموقفه من الربيع بن زياد العبسي في مجلس النعمان بن المنذر، وكيف استطاع بشعره أن يكبته وينزل به الهوان بقوله الممضّ المؤلم مما جعل النعمان لا يلتفت إلى الربيع أبدا بعد أن كان من جلسائه وندمائه . يقول لبيد : (١)

وسقتْ ربيعًا بالفناءِ كأنّه ∴ قَريعُ هجانٍ يبتغي من يخاطر
فأفحمتْه حتى استكانَ كأنّه ∴ قَريحٌ سُلالٌ يكتفُ المشيَ فاتر

وسويد بن أبي كاهل اليشكري يفخر بقدرته على دحر خصومه من الشعراء ، وتفوقه عليهم في الهجاء ، فيصور لنا ذلك في صورة معركة حربية، ويبيّن كيف استطاع بمهارته أن يجبر عدوه على الفرار ذليلا خاضعا لم ينفعه شيطانه الذي يمده بالعون ويمنحه المؤازرة فيقول : (٢)

وعَدوٍ جاهدٍ ناضلتهُ ∴ في تراخي الدهر عنكم والجُمَعِ
فتساقينا بمرٍّ ناقعٍ ∴ في مقام ليس يثنيه الورعْ
وارتمينا والأعادي شُهَّدٌ ∴ بنبالٍ ذاتِ سمٍّ قد نقعْ
بنبالٍ كلّها مذروبةٌ ∴ لم يُطِقْ صَنعتها إلا صنعْ
ثم ولّى وهو لا يحمي استه ∴ طائرَ الإتراف عنه قد وقعْ
ساجدَ المنخرِ لا يرفعُه ∴ خاشعَ الطرفِ أصمَّ المستمعْ
فرّ مني هاربا شيطانهُ ∴ حيثُ لا يُعطي ولا شيءَ منعْ
فرّ منّي حين لا ينفعه ∴ موقرَ الظهرِ ذليلَ المتضعْ
ورأى منّي مقاماً صادقاً ∴ ثابتَ الموطنِ كتّامَ الوجعْ
ولساناً صيرفيّاً صارماً ∴ كحسام السيف ما مسّ قطعْ

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة : ٩١ . السلال : الداء . القرح : الجريح . يكتف المشي : يمشي ببطء ومشقة.

(٢) المفضليات : ٢٠٠ – ٢٠١. المر الناقع : الكلام القاتل . ارتمينا: ترامينا . مذروبة : محددة . الصنع : الحاذق .
الاتراف : الترف والزهو . الطرف : البصر . موقر الظهر : مثقله . كتام الوجع : جسور . الصيرفي : المتصرف في فنون الكلام والقول . حسام السيف : حدّه وطرفه القاطع .

د- الشعر

مصطلح الشعر أشهر المصطلحات التي أطلقها العرب على كلامهم الموزون المقفى، للعلاقة القوية والمناسبة التامة بين هذا اللون من الكلام وبين المعاني اللغوية التي تدور حولها مادة «شعر» في كلامهم . ومادة « الشعر » في كلام العرب تدور حول المعاني التالية :

١- العِلْمُ : يقال : شعر به : علم . وليت شعري : أي ليت علمي، أو ليتني علمت . وفي الحديث :« ليت شعري ما صنع فلان » أي ليت علمي حاضر أو محيط بما صنع . وفي التنزيل «وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون »[١]أي وما يدريكم وأشعره الأمر : أعلمه إياه . وشعر به : عقله. وشعر لكذا : إذا فطن له . والشعر القريض وقائله شاعر لأنه يشعر مالا شعر غيره أي يعلم » [٢].

ويقول الزبيدي : « الشعر كالعلم وزنا ومعنى ، وقيل هو العلم بدقائق الأمور، وقيل: هو الإدراك بالحواس، ثم غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية وعلل صاحب المفردات غلبته على المنظوم بكونه مشتملاً على دقائق العرب وخفايا أسرارها ولطائفها » [٣].

لقد أدرك العرب أن الفطنة والعلم وقوة الشعور وسلامة الإحساس، وحسن تعقل الأمور والأشياء من أبرز صفات الشاعر وأخص سماته وأهمّ ميزاته، فأطلقوا عليه لقب «الشاعر » وأطلقوا على كلامه الموزون المقفى اسم « الشعر » فلا عجب أن تحتفي العرب بالشعر، وتُنزِل الشاعر بينهم منزلة عالية ومكانة رفيعة لما لمسوه في كلامه من علم وفطنة لدقائق الأمور. فكان لسان القبيلة يشيد بمفاخرها ويذيع مآثرها، ويرد عنها كيد خصومها، كما

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٠٩ .
(٢) لسان العرب : شعر .
(٣) تاج العروس : شعر .

كان حكمها الذي يقول فيُصغى لقوله، ويُشير فلا يُرد له رأي ، ويستشفع فيشفّع، إدراكا منهم بأنه يفطن لما لا يفطن له غيره، ويشعر بما لا يشعر به سواه، وقد ذهب ابن فارس [1] إلى أن قول عنترة « هل غادر الشعراء من متردم » [2] معناه أن الشعراء لم يغادروا شيئاً إلا فطنوا له .

يقول الشاعر الجاهلي أعشى باهلة واسمه عامر بن الحارث [3].

وقصّلني في الشّعر واللّب أنني ∴ أقول على علم وأعلم ما أعني

ويصرح أحد الشعراء بفطنته لفضل ممدوحيه فيقول : [4]

شعرتْ لكم لما تبيّنتْ فضلكم ∴ على غيركم ما شاعرُ الناسِ يشعرُ

إن الشعراء لم يحتلوا مكانتهم العالية بين العرب إلا لما امتازوا به من صفات أهلتهم أن يقوموا بدور مميّز في الحياة، فعمر بن الخطاب ﷺ يسأل كعب الأحبار عن الشعراء فيقول : « يا كعب هل تجد للشعراء ذكرا في التوراة ؟ فقال كعب : أجد في التوراة قوما من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ، ويضربون الأمثال لا نعلمهم إلا العرب » هذه رواية ابن رشيق في العمدة [5] . أما رواية العقد الفريد لابن عبد ربه « ... أناجيلهم في صدورهم ، تنطق ألسنتهم بالحكمة ، وأظنهم الشعراء » [6].

---

(١) معجم مقاييس اللغة : ١٩٣/٣ .

(٢) صدر البيت الأول من معلقته وتمامه . أم هل عرفت الدار بعد توهم .

(٣) نهاية الأرب للنويرى : ٢٠٠/٣ . ورد هذا البيت منسوبا إلى أعشى ربيعة في ديوان المعاني ٧٩/١ ، وفي ذيل ديوان الاعشى (الصبح المنير) ص ٢٨٢ .

(٤) ورد البيت في معاجم اللغة بدون نسبة ينظر « شعر » في لسان العرب، والتهذيب للأزهري .

(٥) العمدة : ٢٥/١ .

(٦) العقد الفريد : ٢٧٤/٥ .

ورواية العقد الفريد أكثر قبولا من رواية العمدة لأنها خصت فئة الشعراء دون غيرهم، والواقع يؤيّد ذلك ويعضّده ، ثم إن شعراء العرب لم يكونوا كلهم من ولد إسماعيل، وقد روى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قوله : « كانت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنزلة الأنبياء في الأمم »(١).

ونرى أن نبوة الشعراء من النبوءة القائمة على الفطنة لدقائق الأمور، والعلم القائم على دقة الإدراك وحسن التعقل، لا من النبوّة التي هي الوحي، بمعنى أن نبأهم لا يأتيهم به وحي من السماء، وإنما يأتيهم به قوة حدسهم وصدقه، والقدرة على التأمل والنفاذ إلى لب حقائق الحياة، مع التمكن من التعبير عما أدركوه وشعروا به وجال في خواطرهم .

٢- الثبوت واللزوم : لقد أطلق العرب على الأشياء الثابتة والملازمة أسماء اشتقوها من مادة « شعر » فقالوا : « الشعْر والشعَر » : نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا وبر للإنسان وغيره. وجمعه أشعار وشعور. والشعار : الشجر الملتف ، يقال : روضة شعراء : كثيرة الشجر . والشعار : ما ولى جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب » (٢).

فالثبوت واللزوم كائن في شعر الرأس والجسد وفي الملابس الداخلية الملاصقة لجسم الإنسان،وهي مع هذا تفيد الكثرة والغزارة . وكذلك الشاعرية صفة ملازمة للشاعر وثابتة له ثبوتا ليس حادثا ولا طارئا، بل إنها تصحبه طوال حياته أو أطول مدة فيها ، كما أن العرب لم يصفوا الرجل بالشاعرية إلا إذا كثر نتاجه الشعري وعُرف به وأجاد فيه ، ولذلك لم يطلقوا لقب الشاعر . كما يقول الباقلاني –

(١) الزينة للرازي :٩٥/١ .
(٢) لسان العرب : شعر .

على الذي يعترض في كلامه دون قصد منه ألفاظ تتزن بوزن الشعر ، أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض، وإلا كان الناس كلهم شعراء « لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير يقوله ما قد يتزن بوزن الشعر وينتظم نظامه » [١].

إن الشاعرية صفة ملازمة لصاحبها ثابتة له لا تكاد تفارقه، أوفى حكم الملازمة له، والعرب تقول : « شَعُر الرجل فهو شاعر » إذا أجاد الشعر وتفوّق فيه وعرف بقوله وصار سجية له وطبعا، ووزن « فَعُل » في كلامهم يُطلق على ما يدل على السجايا والطباع مثل كرُم وشرُف وحسُن ، ومعلوم أن السجايا الثابتة، والطباع الملازمة ينشأ عنها الإجادة ، وبها يكون التفوق ، وقد افتخر الأعشى بذلك فقال : [٢]

وقيّدني الشعر في بيته ∴ كما قيّد الآسراتُ الحمارا

ويقول تميم بن أبيّ بن مقبل : [٣]

إذا متّ عن ذكر القوافي فلن ترى ∴ لها تاليا مثلي أطبّ وأشعرا

لقد وصف العرب صاحب الشاعرية بقولهم « شاعر » وجمعوه على « شعراء » فاللقب «شاعر » صفة مشبهة [٤] وليست اسم فاعل، لثبوتها وعدم مفارقتها صاحبها ، لأن الشاعرية لا تدل على زمن معين بل هي غريزة وسجية تدوم ويطول بقاؤها ، فهي مثل كريم وشريف ولكنهم عدلوا عن وزن « فعيل » إلى وزن «فاعل»

---

(١) إعجاز القرن للباقلاني : ٨٠ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير : ١٠٣ . الحمار : العود الذي تحمل عليه الأقتاب ، وخشبة في مقدمة الرحل يقبض عليها الراكب . الآسرات : السيور التي تشد بها أقتاب الرحل .

(٣) ديوان ابن مقبل : ١١١ .

(٤) من أوزان الصفة المشبهة « فاعل » إذا كان فعلها على وزن « فعُل » مثل : طهرُ فهو طاهر .

أمنًا للَبس ، وجمعوه على وزن « فُعَلاء » جمع تكسير لأنه وصف دال على غريزة وسجية وأمر فطري غير مكتسب . فقالوا : شاعر، وشعراء، كما قالوا عاقل وعقلاء ونابه ونبهاء .

يقول سيبويه : « وقد يُكسَّر [فاعل] على فُعَلاء . شُبه بفعيل من الصفات وذلك مثل شاعر وشعراء » [1] . ويقول ابن جني : (استُغني بفاعل عن فعيل وهو في أنفسهم وعلى بالٍ من تصوّرهم، يدل على ذلك تكسيرهم لشاعر : شعراء . لما كان فاعل هنا واقعا موقع فعيل كُسِّر تكسيره ليكون ذلك أمارة ودليلاً على إرادته وأنه مغنٍ عنه وبدل منه) [2] . ويقول ابن خالوية موضحاً الأمر في ذلك : « وإنما جُمع شاعر على شعراء؛ لأن من العرب من يقول شعر بالضم فقياسه أن تجيء الصفة منه على « فعيل » نحو شرفاء جمع شريف . ولو قيل كذلك التبس بشعير الذي هو الحبّ المعروف فقالوا شاعر»[3] .

إن وزن « فعيل » في لغة العرب إنما يقع لمن قد كملت فيه الصفة ، فلما كان «شاعر» إنما يقال لمن عُرف بالشعر وأجاد ، استُغنى بفاعل عن « فعيل » لأن الشعر إنما يكون الوصف به بعد كثرة المزاولة وطول الملابسة ، وصدوره عن الغريزة والطبع والفطرة والسجية .

٤- الأذى والضرّ : لقد نظر العرب في مادة « شعر » فوجدوا فيها أسماء وصفات تدل على الأذى والضر مثل : « الشعار : الرعد . وداهية شعراء : تقال للرجل إذا تكلم بكلام ينكر عليه . ذهبوا إلى خبثها . والإشعار : الإدماء بطعن أو رمي أو وجء بحديدة ونحوها .

---

(١) الكتاب لسيبويه : ٢٠٦/٢ ، طبعة بولاق ١٣١٧هـ ، الطبعة الأولى .
(٢) الخصائص : ٣٨٢/١ .
(٣) تاج العروس : « شعر » .

والشعيرة:البدنة المهداة سميت بذلك لأنه يؤثَّر فيها بالعلامات. يقال : أشعر البدنة : أعلمها بشق جلدها أو بطعنها في أسنمتها حتى يظهر الدم ويُعرف بأنها هدى. والشِعراء : ذباب يلسع الحمار فيدور ، ويقع على الإبل فيؤذيها أشد الأذى ، وأشعره شرًا : غشيه به . وفي حديث معبد الجهني لما عابه الحسن البصري بالقدر ورماه بالبدعة قالت أم معبد للحسن : إنك قد أشعرت ابني في الناس . أي جعلته علامة فيهم وشَهَرته بقولك » [1] .

والعرب قد لحظوا ما يصيب المهجويين من الأذى والضر فأطلقوا على الهجاء اسم « الشعر » ثم غلب على كل منظوم في الهجاء وغيره ، وقد صرح الشعراء وافتخروا بأثر شعرهم في أعدائهم ، وبينوا أن هجاءهم يصيب أعداءهم بأشد ألوان الأذى ، ويذيقهم الصاب والعلقم، ويجرعهم من كؤوس الأذى أصنافا، ويسقيهم من حياض الذل ألوانا، ويسمهم بمياسم الخزى أبد الدهر .

فالأعشى يصور أثر هجائه في أعدائه قائلا : [2]

فدَعْها لما يُعنيك واعمد لغيرها ∴ بشعرك واعلَب أنقَ مَن أنتَ واسمَ

ويقول حسان بن ثابت ﷺ : [3]

لقد رميتَ بها شنعاء فاضحة ∴ يظلّ منها صحيحَ القوم كالمودى

ويهدد بني عبد المدان بالهجاء فيقول : [4]

فتوقعوا سُبُلَ العذابِ عليكم ∴ ممّا يُمِرّ على الرَّوِيّ لساني

فلأَذكَرَنّ بني رُمَيْمَةَ كلّهم ∴ وبَنى الحُصَينِ بخِزْيَةٍ وهَوانِ

---

(١) لسان العرب : شعر .

(٢) ديوان الأعشى « الصبح المنير في شعر أبي بصير » : ٥٧ . العلب : الوسم والخدش والحزّ والتأثير .

(٣) شرح ديوان حسان : ١٥٨ .شنعاء : قبيحة مشهورة . المودى : الهالك .

(٤) شرح ديوان حسان: ٤٧٣ . سبل العذاب : كثرته وتدفقه . يُمِر يُحكِم . قلائدى : قوافيه . المثال : القصاص والمعنى : إذا هجوتكم هجاء كالحريق المشتعل فأين هجاؤكم من هجائي .

ولتَعْرِفَنْ قلائدي برقابكم ∴ كالوشم لا تُبلى على الحدثانِ
أينَ المَثالُ بني الحماسِ إذا ذكرتْ ∴ يهجائكم متشعّباً نيرانِي

ويهدد زهير بن أبي سلمى بني الصيداء فيقول : (١)

أوَلى لكم ، ثم أولى أن يصيبكم ∴ مني نواقرُ لا تُبقي ولا تَذَرُ
وأنْ تقلقلَ ركبانُ المطيِّ بكم ∴ بكلِّ قافيةٍ شنعاءَ تشتهرُ

لقد كان العرب يخافون الشعراء ويتحامونهم ، لما في الهجاء من سبّ الأحياء والأموات وبقاء ذكر ذلك في الأعقاب ، حيث الخزي والهوان يشمل القبيلة كلها، وقد وصف رسول الله ﷺ وقع هجاء شعرائه على مشركي مكة بأنه أشد عليهم من وقع النبل(٢).

بعد هذا العرض يتضح لنا أن العرب حين أطلقوا مصطلحات « القريض – القوافي – القصيد – الشعر » على المنظوم من كلامهم قد لحظوا المناسبة والعلاقة التي تربط بين المعاني اللغوية لهذه المصطلحات وبين منظوم كلامهم من حيث شكله وهيئته ، أو صنعته وطريقة بنائه ، أوطبيعته وأثره .

لقد نظر العرب إلى شكل كلامهم المنظوم وهيئته فوجدوا أبياته تتكون من شطرين متماثلين في الحركات والسكنات التي تكوّن أوزانه وتفاعيله فأطلقوا عليه اسم «القصيد» تشبيها له بالعود أو الرمح الذي كُسر من منتصفه، كما لاحظوا أن أبياته تتماثل في الوزن وتنتهي بمثل الحرف أو الحروف التي انتهى بها البيت الأول ، وأن هذا التماثل يتوالى ويتتابع في سائر الأبيات فأطلقوا على الكلام الذي هذه صفته اسم « القافية » وجمعوه على « القوافي » .

أما من حيث الصنعة والبناء فقد أدركوا أن طريقة الشاعر في

---

(١) شرح شعر زهير : ٢٢٥ . نواقر : هجاء كالسهام المصيبة . أو الكلام السيئ . تقلقل : تتحرك وتسير بقصائد الهجاء .

(٢) ينظر : عون المعبود : ٢٢/٥ ، والأغاني ١٤٣/٤ ، وسير أعلام النبلاء الترجمة رقم : ١٠٧ .

بناء كلامه لا تماثل بناء كلامهم المعتاد في حياتهم وكل شئونهم ، بل يعمد إلى صنعة معينة في كلامه وإلى نظام خاص في بناء جمله وتراكيبه وأساليبه، حيث يختار من ألفاظ اللغة وأساليبها وتراكيبها ما يحقق غرضه ويقيم نظم كلامه فيأتي محكم الصنعة قوى البناء . فأطلقوا عليه اسم «القريض» تشبيها له بالنسيج الذي يقطعه الحائك. ويؤلف بين أجزائه ليصنع منه ثوبا جميلا .

ثم إنهم لاحظوا أن الشاعر يقصد إلى هذا الضرب من الكلام ، ويعمد إليه، فالشعر لا يأتي عفو الخاطر، بل يعمد إليه صاحبه كأنه مقصود له ، وغاية عنده ، ولذلك يحتفى به، ويؤثره بعنايته حتى يعجب المتلقين بحسنه وإحكام بنائه، وتمام صنعته .

وأيضاً أدركوا أن هذا الصنع اللغوي سهل عليه شاق على غيره، فهو من الصعوبة بحيث لا يستطيعه إلا صاحب الطبع الأصيل. والملكة القوية، والقريحة الصافية، فأطلقوا عليه اسم «القصيد» وأطلقوا على القطعة منه اسم «القصيدة» وجمعوها على «القصائد» إذ مادة «قصد» تدل على إرادة فعل الشيء والنهوض إليه، وعلى السهولة وعدم المشقة كما تدل على الجزالة والحسن والجمال .

وأما صفة الشاعرية فقد أدركوا أنها ثابتة لصاحبها لا تفارقه. فهي سجية له وطبع متمكن فيه، لا يدّعيها ولا يفتعلها، وأنه من خلال هذه الموهبة، وتلك الملكة يستطيع أن يفصح عن إدراكاته، ويعبر عن أحاسيسه ومشاعره، ويطن في فطنة وذكاء عن علمه بدقائق الحياة، ولهذا أطلقوا على الكلام المنظوم اسم « الشعر » ووصفوا قائله باسم «الشاعر» ولا يخفى على منصف أن الشعر كان ديوان العرب وسجل مآثرهم ومفاخرهم ومعارفهم ، والمصور كل أمور حياتهم وشئونهم ولذلك قال عمر بن الخطاب ﷺ : « كان

الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه » [1] .

وأما إدراكهم أثر الهجاء، وشدة وقعه، وما يلحق المهجويين من خزي وهوان وضعة واحتقار، وأذى وضر يشمل الأحياء، ويلحق الأموات، ويتبع الأحفاد والأعقاب، ويفوق في تأثيره إزهاق النفوس واستلاب الأرواح فأمر معروف غير منكور، ولذلك تحامى العرب الشعراء، وتحاشوا ألسنتهم الحداد، واتقوا بكل غال ونفيس سهام كلامهم المصمية، ووقع نبالهم المصيبة ، ولهذا أطلقوا على الهجاء أسماء « القوافي – القافية – القريض – الشعر – القصيد » لما وجدوه من علاقة بين هذه المصطلحات وبين المعاني التي تدل عليها المواد اللغوية (قفا – قرض – قصد – شعر) .

تلك هي المصطلحات التي أطلقها العرب على كلامهم المنظوم وقد رأينا العلاقة الوثيقة والمناسبة التامة بين هذه المصطلحات وبين المعاني اللغوية للمواد التي اشتقت منها، وعرفنا أن العرب حين أطلقوها قد لحظوا ما بين هذه المصطلحات وتلك المعاني من علائق وأواصر ووشائج .

(١) طبقات فحول الشعراء : ١/٢٢ .

ثانياً : مفهوم الشعر

الشعر هو المصطلح الأشهر الذي أطلقه العرب على كلامهم المنظوم، لدلالته على حقيقة الشعر وطبيعته الفنية ، أما المصطلحات الأخرى فإنها تدل على جانب من جوانب الشعر أو صفة من صفاته ، وما ذهب إليه بعض العلماء من أن مصطلح « الشعر » غلب على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية [1] ، فإننا لا نسلم لهم به لأن الشعر عند العرب ليس هو الكلام الموزون المقفى فحسب، وإنما هو التعبير عما يجيش في صدر الشاعر من عواطف، وما يجول في ذهنه من خواطر مصوغة في قالب موزون مقفى .

ويعلل الراغب الأصفهاني – في ذكاء – سر غلبة « مصطلح الشعر » دون غيره من المصطلحات فيقول : « وسمى الشاعر شاعرا لفطنته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق، وصار في التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام والشاعر للمختص بصناعته » [2] .

إذن الشعر هو العلم بما يجيش في الصدر من خفي المشاعر والعواطف، والإدراك لدقيق الأفكار والخواطر ، والشاعر هو الفطن الذي يشعر بما لا يشعر به غيره ، ويفطن لما لا يفطن له سواد لقدرته على الغوص في باطن النفس ومضمراتها ، والتفطن لما يستكن في الحياة والأشياء من علاقات ، والتعبير عما شعر به وفطن له في قالب موزون مقفى .

وتدلنا نصوص الشعراء الجاهلين والمخضرمين على إدراكهم طبيعة الشعر وحقيقته فهو بوح وجداني وجيشان نفسي ، وإلهام

---

(١) ينظر مادة شعر في لسان العرب ، والصحاح للجوهري ، والتهذيب للأزهري ، وتاج العروس للزبيدي .

(٢) المفردات في غريب القرآن : مادة « شعر » .

صادق يصدر عن القلب والوجدان مصوغاً في قالب لغوي ذي موسيقى مؤثرة ، وصور موحية ، يؤثر في المتلقين بسحر بلاغته . وحلاوة موسيقاه، وصدق معانيه ، تأثيرًا شديدًا أشبه بتأثير السحر ، فقد روي عن رسول الله ﷺ قوله : (إن من البيان لسحرًا ، وإن من الشعر لحكما) [1] .

يقول الأعشى : [2]

حَبّاني أخِي الجنيُّ نَفسي فِداؤه ∴ بأفيَحَ جَيّاشٍ من الصَّدرِ خِضرِمِ

يقول حسان بن ثابت ﷺ : [3]

إذ ما كسرنا رمحَ رايةِ شاعرٍ ∴ يجيشُ بنا ما عندنا فنعاودُ

ويقول أيضاً : [4]

يغلي بها صدري وأحسنُ حوكها ∴ وأخَا لها ستقالُ إن لم تقطَعِ

وإذا تأملنا نصوص الجاهليين والمخضرمين عرفنا أنهم كانوا يدركون حقيقة الشعر إدراكا فنيا عميقا، وأنه ليس كلامًا موزونا فحسب، وإنما هو تعبير عن جوهر الأشياء وحقائق النفوس والوجود ، يلتقطها الشاعر بفضل موهبته ، ثم يقدمها في صورة فنية تدل على عميق وعيه بدقائق الحياة، وما يُختزن في النفوس، ويطوى في مضمرات القلوب.

يقول الخطفى جد الشاعر جرير : [5]

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٢٥/٥ .
(٢) ديوان الأعشى الكبير : ١٧٥ .
(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ١٧٢ .
(٤) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٢١ بشرح البرقوقي .
(٥) البيان والتبيين : ٢٢٠/١ .

عجبت لإدلال العيي بنفسه ∴ وصمت الذي قد كان بالقول أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما ∴ صحيفة لب المرء أن يتكلما

ويقول أحيحة بن الجلاح الأوسي[1]:

والصمت أجمل بالفتى ∴ ما لم يكن عي يشينه
والقول ذو خطل إذا ∴ ما لم يكن لب يعينه

فالشعر عنوان على ما في نفس الشاعر ولبّه ، وما يتملكه من مشاعر وأحاسيس وخواطر ومعان وأفكار، وغضب ورضا ، وبغض وسخط، ولله در الجاحظ حين فسّر «الصحيفة» في بيت الخطفى بالعنوان .

ومن أقوالهم التي توضح مفهوم الشعر وتكشف عن حقيقته قول معقر بن حمار البارقي : [2]

الشعر لب المرء يعرضه ∴ والقول مثل مواقع النبل
منها المقصر عن رميته ∴ ونوافذ يذهبن بالخصل

ويقول حسان بن ثابت ﷺ : [3]

وإنما الشعر لب المرء يعرضه ∴ على المجالس إن كيسا وإن حمقا
وإن أشعر بيت أنت قائله ∴ بيت يقال إذا أنشدته صدقا

---

(١) البيان والتبيين : ٥/١ ، ٢٧٥/٢ هو أحيحة بن الجلاح الأوسي سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته، وكانت لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها فتركته لشيء كرهته منه فتزوجها هاشم ابن عبد مناف فولدت له عبد المطلب . البيان والتبيين : ٣٦١/٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ٦٢/٣ . معقر بن حمار البارقي شاعر جاهلي من شعراء الجودة المقلين، وفارس من فرسان الجاهلية المعدودين ، شهد يوم شعب جبلة وهو يؤمئذ شيخ كبير أعمى ، وقد اختلف في اسمه فقيل : عمرو ، وقيل سفيان ، وقيل عامر ، ومعمر لقب له لبيت قاله وهو :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناءُ عاقر .

ينظر : المؤتلف والمختلف للآمدي ص٩ . ومعجم الشعراء للمرزباني : ٢٠٤ والاشتقاق لابن دريد : ٤٨١
والعقد الفريد ١٤٤/٥ ، ١٤٦.

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٤٥ .

(٤) شرح ديوان بن ثابت : ٢١٨ .

ويقول عن نفسه : [4]

قلبٌ ذكيٌّ وعقلٌ غيرُ ذي زَلَلٍ ∴ وفي قَميصي صَارِمٌ كالسَّيفِ مأثورُ

ففي هذه الأمثلة والشواهد قرن الشعراء الشعر باللب . والتقاؤهم حول اللبّ يعني التقاء حول مفهوم ثابت للشعر يحدّد طبيعته وقيمته ، فاللب يهدي الشاعر ويعينه على إصابة الغرض وصحة المعنى ، كما ذكر أحيحة بن الجلاح الأوسي، فيأتي شعره كما ذكر الخطفى عنواناً على ما يحتدم في قلبه من عواطف ووجدانات ، وما يجول في خاطره من معان ، وقد جعل معقّر وحسان الشعر لُبّ قائله ، فحقيقة الشعر عندهم أنه لُبّ الشاعر ، لأن معاني الشعر وصياغته اللفظية وأساليبه وصوره ليست في الحقيقة إلا ميلاد بنات أفكار الشاعر وانفعالاته النفسية .

وإذا تأملنا قول معقّر وحسان « الشعر لب المرء » نجدهما قرنا الشعر باللبّ، ولم يقولا : «الشعر عقل المرء» لأن العقل منه الصحيح والفاسد ، والقوي والضعيف ، أما اللب فهو العقل الزاكي الخالص من الشوائب الذي لم تلبّس عليه الأباطيل ، وهو ملازم لصاحبه ثابت فيه. يقول ابن فارس: « لبّ : يدل على لزوم وثبات. وعلى خلوص وجودة رجل لبٌّ بهذا الأمر إذا لازمه وامرأة لبّة : محبة لزوجها ، ومعناه أنها ثابتة على وده أبدا » [1] .

جاء في معاجم اللغة : اللبُّ من كل شيء : خالصه وخياره ونفسه وحقيقته، واللباب: الخالص من كل شيء ، وبنات ألبب: عروق في القلب يكون منها الرأفة، وأنا أحبك من بنات الببي: من أصل نفسي. واللبّ : العقل الخالص من الشوائب سمى بذلك لكونه خالص ما في الإنسان، وقيل: هو ما زكى من العقل، فكل لُبّ عقل ،

(١) معجم مقاييس اللغة : ١٩٩/٥ .

وليس كل عقل لُبًّا . ورجل لَبَ : أي لازم لصنعته لا يفارقها [١] .

فاللبُّ هو مجموع القوى الواجدة والمدركة والعاقلة في الإنسان، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [٢] .

يقول الدكتور محمد أبو موسى : « الشعر لبّ المرء يعني فكره، وخواطره، وصوره، وقد تجدد في لمسة وإدارة خفيفة لمعنى متداول مألوف فصار معنى شعريا شريفا » [٣] .

إن الشاعر يدرك الأفكار والخواطر والوجدانات سابحة في بحر تأمله ، منعكسة على صفحة لبّه ووجدانه، مكتسية بالصور النابضة فيقتنصها بخياله ويعبر عنها تعبيراً شعرياً جميلاً ، فالشعر هو اللبّ بمعنى أنه نتاج الفكر والوجدان والعقل والتأمل يكشف عن الجانب الجمالي والوجداني في الحياة ويعبر عنه في قالب فني يصور ما انفعل له الشاعر من أحداث الحياة كما تجلت على مرآة نفسه وانكشفت على صفحة لُبّه .

ويقول الدكتور جابر عصفور : « الشعر يعتمد على شعور الشاعر بنفسه، وبما حوله شعور يتجاوب هو معه، فيندفع إلى الكشف فنيا عن خبايا النفس أو الكون استجابة لهذا الشعور في لغة هي صور إيحائية لا صور مباشرة » [٤] .

---

(١) ينظر مادة « لبب » في لسان العرب لابن منظور ، وأساس البلاغة للزمخشري – والمفردات للراغب الأصفهاني.
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٩١ ، ١٩٢ .
(٣) مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني : ٢١٤ .
(٤) مفهوم الشعر : ٨٠ – ٨١ .

وإذا عاودنا التأمل مرة أخرى في العبارة « الشعر لب المرء » أدركنا فهمهم العميق للشعر، وأنهم يرونه صورة لما يعتمل في فكر صاحبه ووجدانه، ومرآة ينعكس على صفحتها المصقولة ما يجول في نفسه وضميره يرسله قائله وفق مشاعره وأحاسيسه ، ويطلقه على مقتضى رؤيته للكون وإحساسه بالحياة ، وإدراكه جوهر الأشياء وحقائقها في أسلوب موسيقي يبعث في حواس المتلقين قدرتها الذاتية على الإدراك ، ويبث الحياة في مشاعرهم وأحاسيسهم وخواطرهم بصوره النابضة بالحركة والحياة والحيوية ، وأفكاره المعبرة عن الوجود الإنساني وجوهر الأشياء .

ولهذا احتل الشاعر عندهم منزلة رفيعة، وأنزلوا شعره منزلة سامية لأنهم رأوه مستودع حكمهم الرائقة، ورؤيتهم النافذة. وإحساسهم الصادق بالحياة والأحياء ، لأن الشاعر الحق هو الذي يشعر بكل ما حوله فما من مظهر أو مخبر إلا وله موضع من قلبه وصدى في ضميره ووجدانه ، وشعره إنما هو لسان الروح وترجمان البصيرة .

لقد ربط الشعراء بين الشعر ولبّ صاحبه، وجعلوا اللب هو الشعر والشعر هو اللب، أكد ذلك حسان بن ثابت ﷺ بقوله : « إنما الشعر لب المرء » حيث جاءت عبارته في أسلوب القصر الذي يفيد التوكيد والتخصيص، « وإنما » تجئ – كما يقول عبد القاهر الجرجاني – «لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقرّ به، إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه»[1] وما يجب على الشاعر هو أن يكون شعره صورة صادقة لما أدركه لُبّه من مشاعر وأحاسيس، وعواطف وأفكار، بلا ادعاء ولا زيف ولا افتعال ، وما يجب على متلقي الشعر هو أن يرهف أذنه ، ويفتح مغاليق

(١) دلائل الإعجاز : ٣٣٠ .

نفسه ويشحذ عقله لتلقي ما يقوله الشاعر ويُفصِحُ عنه .

إن قرنهم الشعر باللبّ يوضح بجلاء معرفتهم العميقة بحقيقة الشعر، ويكشف في وضوح إدراكهم مفهومه الفني ، فليس الشعر عندهم أوزانا وقوافي وتصوير مظاهر الحياة دون النفاذ إلى جوهرها ومخبرها ، وإنما هو فيضان المشاعر القوية، والعواطف الصادقة. ونتاج التأمل العميق والانفعال الصادق بحقائق الحياة والوجود يرسله الشاعر في بناء فني وتشكيل لغوي يجسد عواطفه وأحاسيسه. ويجسم معانيه وأفكاره التي هي من صنع الوجدان وفيض المشاعر لا من صنع العقل الذي يسير وفق قواعد المنطق وقياس الحجج والبراهين .

« الشعر لب المرء » جملة تكشف بوضوح فهم العرب الجاهليين للشعر وحقيقته ومفهومه، وتركّز على أن الشعر الذي يستحق أن يطلق عليه هذا الاسم لابد له من تآلف العاطفة والفكر والقلب والوجدان وتآزرها تآزرا تاما، إذ بهذا التآلف والتآزر يكمُل للشعر جماله وبهاؤه، وتتحقق له غايته وآثاره، بما يحدث في المتلقين من أحاسيس تتجاوب مع أحاسيس الشاعر، وبما يمنحهم من أفكار وحقائق ومعارف تثير فيهم الدهشة ، وتبعث فيهم روح التأمل ، فمهمة الشعر عندهم هي الكشف عن أدق وأرق ما يختزنه الشاعر في ضميره، وتصوير ما يدور في المجتمع والحياة من مختلف القضايا والأحداث، بمعنى أنه يفصح عن موقف الشاعر تجاه الحياة والأحياء .

يقول أحد الباحثين المعاصرين : « ليس معنى هذا البناء اللغوي الممزوج بأخصب معاني النفس، وتدفق الخواطر أنه خلو من الأفكار أو أنه غير متضمن لمعنى أو فكرة ، بل الفكرة مستوطنة في العمل الشعري .. ومعانيه يستمدها من نواحي النفس الشاعرة ومن

العواطف السائدة ، وأفكار الشعر ومعانيه ليست خاضعة لتخطيط مسبق أو أنها نتاج العقل الباحث بقدر ما هي من صنع الوجدان الحالم والشعور الهائم ، والشعر في جميع أشكاله وأنواعه وفي كل مستوياته ، يميل عن التحليل والتعليل، وربما كان أقوى ما يتضمنه الشعر من أفكار، هي تلك التي تبعث في نفس المتلقي الشعور بوحدة الأحاسيس ووحدة الأثر ، ثم ما يحدث في قلب السامع والقارئ والمتذوق من تعاطف وراحة، وما في عقله من دهشة وتأمل ، وما في كيانه كله من قشعريرة المتعة ودفء الاستجابة »[1].

إن لبّ الشاعر لا عقله ، وحدسَه [2] لا فكره ، هو وسيلته لإدراك حقائق الحياة ومظاهر الوجود، فليس الشعر لغة العقل القائم على الاستدلال وقياس الحجج والبراهين، وتركيب التصورات والتصديقات ، وترتيب النتائج على المقدمات وإنما الشعر لغة اللب والحدس المشحون بالعواطف والتأملات ، والمشاعر والخواطر، والانفعالات والأحاسيس التي تمور في نفس الشاعر، وتجيش في صدره . يقول الحارث بن حلزة : [3].

---

(١) مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي : ٢٥ .

(٢) الحدس : إدراك الشيء إدراكا مباشرا . المعجم الوسيط « حدث » وفي التعريفات للجرجاني ص٨٣ : «الحدس : سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب ويقابله الفكر » . وفي المعجم الفلسفي : « هو تمثل المعنى في النفس دفعة واحدة في وقت واحد، كأنه وجيٌ مفاجئ ، أو وميض برق ... ويطلق الحدس على اطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس الظاهر، أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية .. أو على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحي مفاجئ لا على سبيل القياس، ولا على سبيل الاستقراء أو الاستنتاج، ولكن على سبيل المشاهدة التي ينبلج فيها الحق انبلاجا » . ينظر المعجم الفلسفي ١/٤٥١ – ٤٥٤ .

(٣) ديوان الحارث بن حلزة : ٥٤ . الحبس : موضع . آياتها : أعلامها : المهارق : الصحف . وصدر البيت الثاني في المفضليات : ١٣٣ «فحبست فيها الركب » .

لمن الديارُ عفونَ بالحبس ∴ آياتُها كمهارقِ الفرسِ
فحبستُ فيها ناقتي أحدِس في ∴ كلِّ الأمورِ وكنتُ ذا حدسِ

ويصور المرقش الأكبر مشاعره وما انتابه من أحاسيس خفق لها قلبه حين رأى منزل أسماء طللا دارسا فيقول : (١)

أمنْ آل أسماءَ الطلولُ الدوارسْ ∴ يخطّطُ فيها الطّيرُ ، قَفرٌ بسابسْ
ومنزلِ ضَنْكٍ لا أريد مبيتَه ∴ كأني به من شدّة الرّوع آنسْ
لتبصرَ عيني أنْ رأتني مكانَها ∴ وفي النّفس إنْ خلّى الطريقَ الكوادسْ
وجيفٌ وإبّاسٌ وتقرٌ وهِرّةٌ ∴ إلى أن تكلّ العيسُ والمرءُ حادسْ

ويصور حسان بن ثابت ﷺ شعره بأنه لغة قلبه وعواطفه وتأملاته فيقول : (٢).

يغلي بها صدري وأحسِنُ حَوكها ∴ وأخالُها ستُقالُ إنْ لم تُقطَعِ

ويقول ﷺ (٣) :

أكرِم بقومٍ رسولُ الله شيعتُهم ∴ إذا تفرقتِ الأهواءُ والشِّيَعُ
أهدى لهم مِدحي قلبٌ يؤازرُه ∴ فيما يحبّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ

وقد روى صاحب العقد الفريد : « أن رسول الله ﷺ قال لعبد الله بن رواحة : أخبرني ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شيء يختلج فيصدري فينطق به لساني » (٤).

---

(١) المفضليات : ٢٢٤ – ٢٢٥ . اليسابس : القفر الخالية . الروع : الفزع والخوف . الوجيف : خفقان القلب في سرعة . الإبساس : الجَهْد والمشقة . النقر : الضرب . والسير في سرعة . الهز : حركة في شدة وإسراع يريد أنه نزل بهذا المكان الموحش المخيف، ولكنه أنس بهذا المنزل لأنه منزل أسماء قبل رحيلها، ليملأ عينه من هذا المكان ويقضي حق نفسه التي ملأها الشوق وغمرتها الهزة والاضطراب ويسكن قلبه الذي غشاه الوجيف وسرعة الخفقان . تكل العيس : الكلل : التعب . والعيس : الإبل . يريد كلت العيس من طول الوقوف والحبس في هذا المكان المقفر الموحش. المرء حادس : أي معبر ومتصرف وفق ما يهديه إليه حدسه .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٢١.

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٠٠ .

(٤) العقد الفريد : ٢٧٨/٥ .

إن الشعر من الميادين التي إن غلب فيها العقل جاء نظما باردا لا روح فيه، أما إذا جاء وفق حدس قلب الشاعر ولبّه كان صادرا عن تجربة شعورية صادقة، ومعبرا عما في نفس قائله ووجدانه فيكتسي بذلك رواء الجمال، وتبدو عليه طلاوة الحسن، فتقبل عليه النفوس ترويه وتنشده وتتمثل به؛ لأن المتلقى يدرك معانيه بسهولة، ويفهمه بإحساسه، « والإدراك بالإحساس من أسهل طرق نقل المعارف والحقائق والمعنويات » [1].

ويوضح الجاحظ هذه الحقيقة النقدية فيقول : « لو أن شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربري كان مفرقا في أشعار كثيرة، لصارت تلك الأشعار أرفع مما هي عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة في الآفاق ، ولكن القصيدة إذا كانت كلها أمثالا لم تسرْ ولم تجر مجرى النوادر ، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم يكن لذلك عنده موقع » [2].

ونلحظ في قول حسان بن ثابت ومعقر البارقي أنهما حكما على الشعر بحسب صدقه في التعبير عن لُب قائله فجعلاه ضربين :

١- الضرب الأول : جيد يؤثر في المتلقين، ويأخذ بقلوبهم وأفئدتهم وهو ما عبر عنه حسان ﷺ بالشعر «الكيس» الذي مُلء فطنة، وحوى ظرفا، إذ الكياسة تمكن النفوس من استنباط ما هو أنفع . وهو عند معقّر البارقى الشعر الذي يميل إليه الناس لحسنه وجودته ودقة إصابته، وكشفه المعنى الذي يدور في نفس صاحبه ، فهو كالنوافذ من النبال التي تصيب الهدف وتذهب بالخَصْل ، أي الخطر والأموال التي يراهن عليها .

٢- الضرب الثاني : رديء لا تأثير له في نفوس المتلقين لخلوه من الصدق الشعوري، وعدم صدوره عن اللب الزاكي فهو « الحُمُق » عند حسان ﷺ أي الكاسد الذي يزورّ عنه الناس ولا

(١) مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد العربي : ١٧ .
(٢) البيان والتبيين : ٢٠٦/١ .

يقبلون عليه . مأخوذ من قولهم « حَمُقَت السوق والتجارة » أي كسدت وبارت ، أو من الحُمْق : أي الاندفاع بلا روية، لأن صاحبه لم يقله وفق لبه، وعلى هدى من قلبه، بل اندفع في كلامه بلا روية، فلم يجعل عقله زماما على رأيه، ورأيه عيارا على شعره كما قال الجاحظ.

وهو أيضا « المقصّر عن رميته » عند معقر البارقي، وتقصيره ناشئ من عدم صدوره عن لب صاحبه الذي تهاون في تجويده وتكاسل في توفير كل عناصر الحسن اللازمة له ، فمضى في تصوير معانيه وأفكاره ومشاعره يخبط خبط العشواء بلا دليل ، وعلى غير هدى ، فكان أشبه بالقصير من السيل الذي لا يسيل من واد غزير المياه ، وإنما يسيل من فروع الأودية، وأفناء الشعاب وعزاز الأرض [1] ، ومثل هذا السيل لا يُنتفع به، كذلك هذا الضرب من الشعر لا يؤثر في المتلقين ولا يحقق النفع . ولهذا شبهه معقر البارقي بالسهم الذي لم يبلغ الغاية ولم يصل إلى المرمى، ولم يحقق الهدف .

لقد أدرك الشعراء العرب الجاهليون أن الشعر ليس لعبا بالألفاظ ، ولا لهوا باللغة، وإنما هو تعبير عن لبّ الشاعر بما يحويه هذا اللبّ من مشاعر وخواطر بهدف التأثير في المتلقين ، فالمقياس الحقيقي لقيمة الشعر هو المصداقية في التعبير ، وما يبعثه الشعر في النفس من بهجة يشعر بها أهل المجامع ، إذ هم أفضل الرجال عقلا وأكثرهم حكمة، ولمّا كان متلقوا الشعر ومتذوقوه متعددة أفكارهم ، ومتنوعة ثقافاتهم وجب على الشاعر أن يخاطبهم بما فطرت عليه النفوس الإنسانية ، لأنه بانفعاله بالحقائق الإنسانية والفطرة البشرية يستولى على عواطف المتلقين ، ويسيطر على مشاعرهم وأحاسيسهم ويوجههم إلى أفكاره، وينمي فيهم الرغبة والميل إلى اعتناقها والسير بما تقتضيه .

هذا هو مفهوم الشعر عند الجاهليين ، أما عناصره فهذا ما سنوضحه في الصفحات التالية .

---

(١) المعجم الوسيط : مادة (قصر) .

((عناصر الشعر عند الجاهليين))

١- الصدق :

الصدق يعني إخلاص الشاعر في التعبير عما في لُبّه من مشاعر وخواطر وإبرازه في صورة تثير في نفس المتلقي بهجة ونشوة ، لأنها تعرفه ببعض ما لم يكن يعرف ، أو تزيده معرفة بما كان يعرفه . وكلما كان الشاعر صادقاً في التعبير عن نفسه كان قادرا على التأثير في الآخرين وإمتاعهم .

يقول حسان بن ثابت ﷺ : (١)

وإنّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُه ∴ بيتٌ يُقالُ إذا أنشدتَه صَدَقا

وإذا تأملنا قول حسان بن ثابت ﷺ ، نجده قد جعل الصدق من أهم عناصر الشعر، به يجود ويسمو، وبه يتميز جيد الشعر رديئه . فأي صدق يقصده حسان، ويهتف به متلقوا الشعر ومتذوقوه؟ أهو الصدق المبني على مقدمات عقلية ، وبراهين منطقية بحيث يتطابق كلام الشاعر مع الواقع ، أم أنه صدق آخر له مدلوله الخاص به ؟

والجواب إنه صدق له طبيعته ومفهومه الخاص ، لأن أداة الشاعر ووسيلته في إدراك حقائق الحياة والأشياء لست عقله، إنما هي لبّه وحَدْسه، ورؤيته الخاصة التي تواجه الحقائق مواجهة لا يحتاج معها إلى إقامة حجة أو برهان ، لأن الشعر لا ينقل الواقع كما هو ، ولا يطابقه مطابقة تامة ، وإنما يصوره بحسب رؤية الشاعر الذي يخلع على الواقع من ذاته، ويلوّنه بلون نفسه، فالشاعر

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٤٥ ، وفي العقد الفريد : ٥/٣٢٦ أن البيت لزهير بن أبي سلمى وليس في ديوانه، كما نسبه الآمدي في المؤتلف والمختلف : ٦٢ إلى بقيلة الأكبر أبو المنهال وهو شاعر سيد كريم مخضرم. وسواء كان البيت لحسان أو لغيره فإنه يدل على رؤية الجاهليين والمخضرمين إلى أهمية عنصر الصدق في جودة الشعر . نعنى الصدق الفني لا الصدق الواقعي .

الصادق هو الذي يصدر شعره عن الطبع وينبع من القلب ولا يصور الأشياء والأحداث كما هي في الواقع، وإنما يصور أثر ترسباتها في نفسه، وهذه الترسبات هي الحقائق الأدبية التي يجهد الشاعر في اقتناصها ويكلّف بتصويرها ، يقول «هازلت» : «للحقيقة أنواع، وحقيقة الأدب ليست بالضرورة هي الحقيقة العلمية»(١).

وعن مباينة الحقيقة الأدبية للحقيقة العلمية الواقعية ، يقول الدكتور حمد السويلم : « لا يُطلب من الأدب أن يكون مطابقا للحقيقة العلمية، كذلك لا يطلب منه أن يعكس خاصية الواقع، ذلك أن الواقع خاضع لقوانين كونية تجعله عرضة للتغييرات المتتالية . أما العمل الأدبي فهو تجسيد لنقطة جوهرية في الحاضر يستمر الناس في تلقيها على مرّ العصور، فالحقيقة الأدبية ليست دائماً حقيقة ملموسة بمقدور الإنسان أن يمسك بها ويقيسها بمقاييس العلم أو الواقع ، وإنما هي حركة داخلية تسهم في تحقيق فاعلية جمالية تمنح الأدب عمرا خاصا يمتد بحسب قيمة النص الجمالية » (٢).

إن صدق الشعر يعتمد بالأساس على صدق شعور الشاعر بنفسه وبما حوله شعورا يتجاوب هو معه ، فالشاعر الذي تنبعث تجربته من عاطفة صادقة يكون شعره صادقا لأن العاطفة كما يقول « مكليش » لا تنتظم البناء الشعري فحسب، لكنها تجعله حقيقياً صادقاً (٣).

ويقول الدكتور محمد السعدي فرهود : « لا يُراد بصدق التجربة مطابقتها للحقيقة والواقع، فإنما هذه شأن التجاريب العلمية . أما التجاريب الشعرية فصدقها في مطابقتها لوجدان الشاعر،

(١) الأديب وصناعته : ٧٤ .
(٢) الاتجاه الفني في تراثنا النقدي والبلاغي : ٤١١ .
(٣) الشعر والتجربة : ٤٥ .

وتعبيرها عن حقيقة مشاعره وانطباعاته ، فإذا خلت التجربة من هذا الصدق كانت زيفا وبهرجا، وسقطت قيمتها [1].

إن الشاعر لا يطلب منه الإتيان ببينة عقلية تؤيد صدق ما ادعاه ، لأن الشعر تخييل لا يبني على مقدمات صحيحة لدى العقل، ولأن الشاعر ليست به حاجة إلى مثل هذه المقدمات القاطعة . يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : « لا يؤخذ الشاعر بأن يصحّح كون ما جعله أصلاً وعلة ... ولا أن يأتي على ما صيّره قاعدة وأساسًا بينة عقلية ، بل تُسلّم له مقدمته التي اعتمدها بينة » [2].

وعبارة الإمام عبد القاهر - رحمه الله - تدل على خبرة عميقة بالشعر وتقدير لما فيه من صدق فني يوحّد بين الذات والموضوع ، وهذا الصدق الفني يكمن في صدق الشعور بما يجول في النفس من عواطف وأفكار، وفي إخلاص الشاعر في التعبير عن خواطره ومشاعره وعواطفه ، وتصويرها في صورة خيالية تخلب ألباب السامعين ، وتستولي على أفئدتهم وعقولهم حتى ولو كانت معانيه من المعاني العقلية ، وأفكاره من الأفكار التي للعقل دخل في إدراكها ، لأن الشعر ليس إنباء بحقائق واقعية وإنما هو صور تُصنع ، وخيال يؤلّف ويبتكر .

فالشعر لا ينظر فيه من حيث مطابقته للواقع أو عدم مطابقته له ، لأنه قولٌ قائم على التخييل ، وهذا التخييل هو الذي صار به الشعر شعرًا ويقع في الصادق والكاذب غير أنه يرى الصدق حيث يقتضيه الأمر أقدر على تحريك النفوس ، ومن هذا الفهم الواعي لحقيقة الشعر استطاع الإمام عبد القاهر الجرجاني أن يوجه قول من قال « خير الشعر أصدقه » أو « خير الشعر أكذبه » مبينًا أن خير

(١) قضايا النقد الأدبي الحديث : ٨٦ .
(٢) أسرار البلاغة : ٢٧٠ .

الشعر ما دل على مراد قائله ، وصور معانيه خير تصوير سواء طابق الواقع أو خالفه ، صدَّقه الواقع أو كذبه [1].

ويوضح الدكتور محمد أبو موسى هذا الجانب من عناصر الشعر فيقول : « الشاعر لا يطالب بأن يكون ما يقوله قائما على ثوابت فكرية، ومؤسسا على حجج عقلية ، بل ولا أن يكون ما أثبته ثابتا ، ولا ما نفاه منفيا ، وإنما يبنى الكلام في هذا الجانب العقلي على المسامحة ، ويطلب فيه حسن الانتزاع ، ولطف التأتي ، وطرافة الخيال » [2] . فكل ما يقوله الشاعر باطل وكاذب من جهة الواقع ، ولكنه صحيح من جهة الفن ، وصادق من الوجهة الشعرية ، فهو حين يصور الطبيعة والأشياء من حوله ضاحكة أو حزينة فهو قد رآها فعلا هكذا لأنه لا يقصد إلى وصف الأشياء من حوله بأوصاف جديدة لكنها هي التي أتت إليه حاملة هذه الأوصاف فسجّلها كما رآها بعاطفته التي تكشف له الحقائق الباطنية الكامنة وراء الظواهر المشاهدة .

وخلاصة القول إن حسان بن ثابت ﷺ حين جعل الصدق صفة من صفات الشعر الفائق الجودة كان يدرك أن الشعر لا يستمد صدقه وقيمته من نطقه بالحقيقة المجردة، ولا من تصوير الأشياء كما هي في الواقع ، وإنما يستمد صدقه من تصوير ما في لبّ صاحبه من خلجات الوجدان، وومضات الخواطر ، وإظهار مشاعر قائله وتأملاته في الحياة وحقائقها، وإبراز ما يعصف في صدر الشاعر من عواطف وخواطر بحيث تمتزج عناصر تجربته المنبعثة من نفسه امتزاجا يؤلف واقعاً جديدًا لا نستطيع أن نجد له مدلولا في عالم الأشياء والواقع يدل عليه دلالة حرفية .

---

(١) ينظر أسرار البلاغة : ٢٧٠ – ٢٧٣ .

(٢) مدخل إلى كتابى عبد القاهر الجرجاني : ١٨٥ .

فالشاعر الصادق الذي ينفذ شعره إلى النفس هو الشاعر الذي يتحرر من دلالات الأشياء كما هي في الواقع ، ويشهدها ذات دلالات جديدة نابعة من ذات نفسه ورؤيته الخاصة مع إخلاصه في التعبير عنها ، وصدقه في تصويرها ، إذ أن صدق الشاعر صدق داخلي يتصل بتوافق تجربته التي يعبر عنها مع ما في داخل نفسه .

وأما الصدق الذي يقول به متذوقوا الشعر ومتلقوه، فهو الإحساس بأن الشاعر لانفعاله بالحقائق الإنسانية وصدقه في التعبير عن مكنون نفسه ، كأنه يقدم شعره لغة يتخاطب بها سائر الناس ممن يريدون أن يقولوا ما قاله هو ، لكن مواهبهم لا تسعفهم فيستخدمون ما أنتجته موهبته للتعبير عن ذوات أنفسهم، متمثلين بشعره في كل ما يمر بهم من أحداث الحياة ومواقفها .

إن الناس جميعاً لديهم أفكار وعواطف مثل ما عند الشاعر . ولكن الشاعر وحده هو الذي يستطيع أن يصوغ هذه الأفكار والعواطف في عمل شعري رائع ، وشكل فني مؤثر ، لأن فهم الشاعر للحياة عميق، وطبيعته الشعرية هي التي تمكنه من إنتاج عمل شعري قوي التأثير في المتلقين ؛ لاستلهامه في شعره الذي هو ثمرة لُبّه وصورة علمه أدق الأحاسيس وأرق المشاعر الإنسانية القائمة في النفوس والعقول ، وتوافق تجربته مع ما جاءت به تجارب البشر من قبله كالحكمة التي تألفها النفوس وترتاح لصدق القول فيها ، وما أتت به التجارب منها ، أو لتضمن شعره أشياء توجبها أحوال الزمان على اختلافه وحوادثها على تصرفها ، كما قال ابن طباطبا العلوي [1].

يقول ابن قتيبة « أشعر الناس من أنت في شعره حتى تفرغ

(١) ينظر : عيار الشعر : ١٢٥ – ١٢٦ .

منه » [١]. وروي أنه « قيل لأبي عمرو بن العلاء : أي بيت تقوله العرب أشعر ؟ . قال : البيت الذي إذا سمعه سامعه سولت له نفسه أن يقول مثله ، ولأن يُخدش أنفه بظفر كلب أهون عليه من أن يقول مثله [٢]، وقيل : « أشعر بيت هو البيت الذي لا يحجبه عن القلب شيء»[٣].

إن الشعر – كما يقول العقاد – لا يكون جميلا وذا تأثير إلا إذا طابق الشعور وهي مطابقة أصدق من كل مطابقة أخرى، إذا كانت المطابقات الأخرى خلوا من تمثيل ما نشعر به [٤]. ويوضح العقاد أثر الشعر ومطلب المتذوقين من الشاعر فيقول : « إن العربي لا يرجع إلى الشاعر ليسأله عن المذاهب الفلسفية ذات الشروح والحواشي، وذات العلل والنتائج ولكنه يرجع إليه ليجد عنده شيئا أصح وأقرب إلى حسّه وفهمه » [٥].

فجودة الشعر وجماله وحسنه وشدة تأثيره في المتلقين ترجع إلى أنه تعبير صادق عن لبّ يشعر ويتفطن لأدق الخواطر والأحاسيس والمشاعر والعواطف لا إلى عقل يعلّل ويفصّل ويسوق المعاني ويقيسها بأقيسة منطقية .

إن المتذوقين والمتلقين – كما قال حسان – يحكمون على الشعر بالجودة لما فيه من صدق الشعور، وجودة التعبير عن المشاعر الإنسانية والحقائق الكلية التي ينشدها الناس ولا يقدر على إدراكها والتعبير عنها سوى الشعراء الفحول الذين يقدمونها للناس

---

(١) الشعر والشعراء : ٨٢/١ .
(٢) العقد الفريد : ٣٢٥/٥ ، العمدة : ١٢٣/١ .
(٣) العقد الفريد : ٣٢٦/٥ .
(٤) ينظر قيم ومعايير للعقاد : ١٦٣ .
(٥) اللغة الشاعرة : ٩٠ .

في أسلوب رائق وصور بديعة وأنغام شجية ، فهو ﷺ كان يدرك أن الشعر ليس تجربة ذاتية ، ولا عملا فرديا فحسب، بل يتصورد نوعا من النبوغ في تمثل أحلام النـــاس والمجتمـــع ، وتصـــوير آلامهـــم وآمالهم بلا زيف ولا افتعال ، وتلك هي أخص سمات الشاعر الفـذ. والنابغة القدير، يقول أحد الباحثين : « كل نابغة في العصر القـديد يشعر أن المجتمع يوجّه أفكاره إلى حيث يريد ... فالشاعر الجـاهلي لا يتصور الفن عملاً فردياً بل يتصوره نوعاً من النبوغ فـي تمثـل أحلام المجتمع ومخاوفه وآماله » (١).

وهذا يفسر لنا فرح القبائل العربية وابتهاجها بنبوغ شـعرائها لأنهم يرونهم أناسا متميزين في الحس والفكر والوجـدان ، وأنهـم عامل تغيير هام في المجتمع ، يقول أبو عمرو ابن العلاء : «كانـت الشعراء عند العرب في الجاهلية بمنـزلة الأنبياء في الأمم » (٢).

فالشعر بما له من إيقاع مؤثر وبمـا يحويـه مـن عواطـف وخواطر يتيح لكل فرد في المجتمع أن يمضي إلـى أعمـاق نفسـه مشاركاً الشاعر عواطفه ووجدانه وأفكاره وخواطره ، لأن الشـاعر الفذّ هو صوت كل إنسان ومن هنا نتلذذ بالشعر وننفعل مع الشاعر. وتأخذنا النشوة عند سماع أبياته، أو قراءتها ، مع التسليم بأن مـا يقوله الشاعر « باطل قانونا وصحيح وهما ، كاذب تاريخيا وواقعيا . وصادق من الوجهة الشعرية » (٣).

٢- البناء الشعري :

عرفنا فيما سبق أن كلمة « شعر » تدل فـي أصـل وضـعها اللغوي على الفطنة والعلم بدقائق الأشياء وأن كلمة « شاعر » تطلق

(١) قراءة ثانية لشعرنا القديم : ٥٤ .
(٢) الزينة للرازي ١/٩٥ .
(٣) قراءة الصورة وصور القراءة : ١٠٥ .

على من يفطن لما لا يفطن له غيره ، ويشعر بما لا يشعر به سواه مع القدرة على صياغة ما فطن له وشعر به في بناء شعري وأسلوب لغوي وقالب موزون مقفى يخالف أساليب المعاصرين له والسابقين عليه، أسلوب يحمل طابعه هو ولا يتشابه مع أساليب غيره، فالأسلوب هو شخصية الشاعر وطبعه وصنعته وجهده في إقامة صوره وبناء معانيه على نحو يطابق حالاته النفسية ويوافق مشاعره الذاتية . يقول الأعشى : (١).

فما أنا أم ما انتحالي القوا ∴ في بَعْدَ المشيب كفى ذاك عارا

ويقول حسان بن ثابت : (٢)

يُعيبني سقاطي من يُوازنني ∴ إنبي لعمرُكَ لستُ بالهذر
لا أسرقُ الشعراءَ ما نطقوا ∴ بل لا يُوافقُ شعرَهم شعري

وقد أطلق الجاهليون على كلامهم الموزون المشتمل على معانيهم والمكون من صدر وعجز اسم « البيت » أو (الأبيات) تشبيها له ببيت الشَّعْر الذي يسكنونه (٣) ، فالشعر عندهم بناء مارد وصرح ممرد ، والشاعر بنّاء ماهر وصانع حاذق ، يصنع مواده ويضعها في مواضعها بدقة وإحكام حتى يأتي شعره على أحسن صوره وأتم هيئة وأجمل منظر، وما مواد الشاعر التي يبني منها شعره إلا المعاني الدقيقة ، والأفكار الجديدة، والألفاظ المختارة . والعبارات المحكمة، والصور الرائعة والموسيقى المؤثرة .

ونجد في شعر الجاهليين والمخضرمين ما يدل على أن الشاعر

---

(١) ديوان الأعشى الكبير : ١٠٣ .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٢٧ .

(٣) ينظر منهاج البلغاء : ٢٥٠ – ٢٥١ حيث استطاع حازم القرطاجني بذوقه النقدي السليم أن يبين وجه الشبه بين البيت الشعري وبيت الشعر الذي كان يسكنه العرب في الجاهلية ، مما سوغ لهم أن يطلقوا على كلامهم الموزون المقفى اسم البيت أو الأبيات .

صانع منقطع لصنعته جاد فيها، يقدر عمله تقديرا، يبني شعره بحفاوة ، ويتعهده بالعناية وحسن الرعاية ، ويوفيه حقه من التجويد.

يقول الأعشى : [1]

وقيدني الشعر في بيته ∴ كما قيد الأسراتَ الحمارا

فالشعر قيّد الأعشى حتى أصبح لا يحسن غيره من الصنائع فليست له حرفة أو صنعة يجيدها غير هذه الصنعة وتلك الحرفة. يجهد نفسه فيها ويوفر عليها كل جهده وطاقته .

وكثيرًا ما كان الشعراء يصفون أنفسهم بالبنائين ، ويصفون شعرهم بالبناء الراسخ الذي لا تؤثر فيه الأنواء ولا تهدمه الرياح. فكما أن البنّاء يقطع الحجر ويسوّيه ويضعه في مكانه من الجدار . كذلك الشاعر يقطع من اللغة ويختار منها الألفاظ والجمل التي يبني منها شعره، ويقيم عليها قصائده.

يقول حسان بن ثابت : [2] .

قوافي كالسّلام إذا استمرت ∴ من الشّمّ المعرقة الفلاظ
بنيتُ عليك أبياتا صلابا ∴ كأمرِ الوَسْقِ قفّصَ بالشّظاظ

ويقول خفاف بن ندبة : [3].

ستأتيك القوافي من قريضي ∴ مُلَمْلَمةً كجُلمودِ التِذافِ

ويصف تميم بن مقبل شعره بالبناء المارد العملاق الذي اجتهد صاحبه وتكلف المشاق في بنائه حتى صار على أحسن هيئة وأفخم منظر بعد أن تخيّر له لبناته وأحجاره، فكذلك هو مع شعره بنّاء ماهر وصانع حاذق خبير باختيار المعاني والألفاظ والكلمات

---

(١) ديوان الأعشى (الصبح المنير) : ٤١ .
(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٩٥ .
(٣) شعر خفاف بن ندبة : ١٠٤ . الململمة : المجتمعة : يقال : كتيبة ململمة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض ، وناقة ململمة : غليظة كثيرة اللحم معتدلة الخلق ، وصخرة ململمة : مستديرة صلبة .

والتأليف بينها حتى تستوي شعرا جيدا يعجب الناس من حسنه وجودته فيقول : [1] .

إذا مرّ عن ذكر القوافي فلن ترى ∴ لها تاليا مثلي أطبّ وأشعرا
وأكثر بيتا ماردا ضربت له ∴ حزونَ جبال الشعر حتى تيسّرا
أغرّ غريبا يمسحُ الناس وجهَهُ ∴ كما تمسح الأيدي الأغرّ المشهّرا

فالأبيات الصلاب عند حسان، والقوافي الململمة كالجلمود عند خفاف بن نتبه ، والبيت المارد عند ابن مقبل دليل على ما يبذلونه من جهد، وأمارة على يعانونه من كدح في بناء الشعر، حتى يوفروا له الجودة والحس فما صلابة الشعر وحزون جباله إلا مقاطعة ومعادنه ، فيها يجهد الشعراء أنفسهم حتى يأتي شعرهم غنيا بدقائق المعاني مزينا بالألفاظ المختارة ، والعبارات المصقولة ، والأساليب المحكمة ، والصور الرائعة ، والأوزان العذبة ، والقوافي الشجية فيكتب له السيرورة والحفظ ، وليحظوا بالشهرة والمجد .

ويعلق الدكتور محمد أبو موسى على أبيات ابن مقبل فيقول : (والشاعر هنا عكف على نفسه يضرب في حزون جبال الشعر حتى تيسر له أن يستخرج من هذه الحزون بيتاً مشهرًا أغرَّ غريبا يمسح الناس وجهه ، كأنه فرس جيد سابق يفعل الناس به ذلك إكراماً له ، وحب الناس للسابق المتفوق المتجاوز للمألوف في عمله حبَ قديم ، وهكذا يراه الشعراء في الشعر) [2] .

وعن جهد الشعراء وعملهم في بناء شعرهم يقول الخليل بن أحمد : (الشعراء أمراء الكلام يصرفونه أنّى شاءوا ، ويجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده ، ومن تصريف اللفظ وتعقيده ، ومدّ المقصور ، وقصر الممدود ، والجمع بين لغاته ،

---

(١) ديوان ابن مقبل : ١١١ . بناء مارد : عال مرتفع . الحزون : الحجارة الصلبة . تيسر : سهل .
(٢) مدخل إلى كتابى عبد القاهر : ٢٥٩ .

والتفريق بين صفاته ، واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته ، والأذهان عن فهمه وإيضاحه فيقربون البعيد ، ويبعدون القريب ، ويُحتج بهم ولا يُحتج عليهم ، ويصورون الباطل في صورة الحق ، والحق في صورة الباطل) [1].

إن الشعر بناء لغوي يحمل أفكار الشاعر، ويجسّد معانيه، وينم عما يدور في عقله وقلبه، وما يعتمل في خاطره ووجدانه، والشعر عند الجاهليين والمخضرمين لبّ المرء يكشف عواطفه نحو الناس والأشياء ، ويوضح مشاعره ، ويصور أحاسيسه نحو ما يراد ويسمعه ويتخيله، ويعبر عن أفراحه وأحزانه وأحلامه وآماله .

وقد أشار ابن رشيق إلى أن عناية أهل الطبع من الجاهليين والمخضرمين كانت معقودة على بناء الشعر ، وكان « نظرها في فصاحة الكلام وجزالته،وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر . وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض »[2].

وهذا البناء الشعري تتمثل عناصره في المعنى واللفظ والوزن والقافية ، والصورة الفنية ، وجودة الشعر تكمن في تآلف هذه العناصر في بناء فني تتشكل به معانيه .

أ- المعنى :

المعنى هو الأساس الذي يبنى عليه الشعر وما الألفاظ والأساليب والصور والأوزان والقوافي إلا شكله وهيئته ، وقد عرفنا أن الشعر عند العرب هو العلم بدقائق الأمور وخفيّ المشاعر ودقيق الأفكار ، وأنه كان علمهم الذي لم يكن لهم علمٌ أصح منه كما قال عمر بن الخطاب ﷺ .

وإذا كنا نقول – وبحق – إن الشعر طبع في الشعراء وسجيّة

---

(١) منهاج البلغاء ، ١٤٣ – ١٤٤ .

(٢) العمدة : ١/١٢٩ .

فيهم فليس معنى ذلك أنهم كانوا يطلقون القول على عواهنه، وينطقون به حسبما اتفق لقائله، بل إنهم كانوا يكدحون في طلب المعاني الشعرية ، ويستفرغون جهدهم في اقتناص شواردها وتقييد أوابدها، لأن الشعر ليس تهويما في عالم الخيال ، ولا تجديفاً في بحر الأحلام بلا ضابط أو رابط ، وإنما هو جهد يصدر عن التفكير الواعي، والتوليد الذهني، وما يجره كل هذا من تفنن في المعاني وصبها في عبارة محكمة ، وصوغها في أساليب مصقولة ، وإبرازها في أجمل صورة وأعذب موسيقى .

يقول الدكتور محمد أبو موسى : « لا تظن أن إرسال المعاني على سجيتها يعني الخلو من المجهود، والبعد عن الاحتفال والاحتشاد والمكابدة ، لأن إرسالها إنما يكون بعد المعاناة في الكشف عن مخبآتها ، واستخراجها من مضابئها ، وجمع أوابدها ، واقتناص شواردها » [1].

والشاعر الأصيل الموهبة العميق الإحساس هو الذي ينفذ إلى إدراك ما يخفى على الناس، أو ما يشبه أن يكون خافيا عليهم بسبب ألفتهم له، إذ هو يتمتع بتلك الحاسة القادرة على طرح الألفة ، واكتشاف الأمور الدقيقة اكتشافا يتصل بقلبه اتصالاً مباشرا يقوده إلى التغلغل في أغوار النفس والتجاوب مع ما يراه، وما يسمعه ، وما يمر بذهنه من خواطر تجاوبا يكاد يصل إلى حد الاندماج والتداخل، وهذا العمق في الإحساس بما في النفس يقوده إلى التعبير المطابق لحالاته النفسية ومشاعره الذاتية ، وأحاسيسه الصادقة تعبيراً يجسد معانيه ويصور أفكاره وخواطره .

فالمعاني هي أساس البناء الشعري، وما الألفاظ والأساليب والوزن والعاطفة إلا صورة للمعنى وجودة الشعر تكمن في تآلف

(١) مدخل إلى كتابى عبد القاهر : ١٣٣ .

الألفاظ والوزن والقافية في تصوير المعنى وإظهاره في شكل فني يوحي بمراد الشاعر ، ويدل على ما يجول بلبه من مشاعر وخواطر أجهد فيها الشاعر نفسه لاقتناص شواردها واصطياد أوابدها .

وقد افتخر الشعراء الجاهليون بقدرتهم على السبح والغوص في بحور الشعر، وبحور الشعر التي عنوها ليست البحور المتعارف عليها في علم العروض وإنما هي بحور المعاني الشعرية المتسمة بالعمق والغزارة والاتساع وعدم الانقطاع يسبح فيها الشعراء ويغوصون في أعماقها ليستخرجوا منها درر معانيهم ولآلئ خواطرهم ، فقد كانوا يدركون أن قوة الشعر وجودته تستمد من المضمون أجمل تصاوير وأدق علاقته .

يقول عبيد بن الأبرص : (١)

سَل الشعراءَ هل سبَحُوا كَسبحي ∴ بحورَ الشعرِ أو غاصُوا مغاصي
لساني بالقَريضِ وبالقَوافي ∴ وبالأشعارِ أمهرُ في الغَواصِ
مِنَ الحوتِ الذي في لُجِّ بحرٍ ∴ يجيدُ السَّبحَ في اللجِّ القِماصِ

فعبيد يفتخر بقدرته على السبح في بحور معاني الشعر . وقدرته على اصطياد جواهرها ، واقتناص دررها ، وتمكنه من تصريف لسانه في كل فن من فنون الشعر وأغراضه ، لا يصعب عليه القول في أي فن ، ولا يمتنع عليه التعبير في أي غرض لسعة علمه وغزارة معانيه ، وعمق إدراكه وفطنته لكل ما يخفى على الناس من معان وأفكار.

ويرد مزرد بن ضرار على كعب بن زهير فخره فيقول : (٢)

فَهَل خُضتَ بحرًا قصَّرَ الناسُ دونَه ∴ مِنَ الشعرِ أم قُلتَ ما لم تُقَوَّلِ

فبحور الشعر هي المعاني التي تجول في خواطر الشعراء.

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص : ٥٦ . اللجج القماص : العميقة البعيدة الغور .

(٢) الرسالة الموضحة : ١٥١ .

وهي الأفكار والأحاسيس والمشاعر التي تضطرم في قلوبهم وعقولهم وألبابهم، ولأنها زاد لا ينفد ، ومدد لا ينقطع ، شبّهت بالبحر الذي يُغترف منه ولا تنتهي مادته ولا ينضب ماؤه ، ومعاني الشعر يغترف منها الشعراء ، ويتناولها كلٌ بطريقته ولا تنتهي أبدا ، وإنما يتفاضل الشعراء في الغوص وراء المعاني ، والقدرة على السبح في بحورها ، واستخراج دقيقها وشريفها وجديدها .

ويقول أبو تمام : (١) .

فلو كان يفنى الشعرُ أفناه ما قرتْ ∴ حياضُك منه في العصور الذّواهب
ولكنه صوبُ العقولِ إذا انجلت ∴ سحائبُ منه أعقبت بسحائب

كما افتخروا بغزارة معانيهم وسعتها ، وقدرتهم على التفنن في شتى فنون الشعر وأغراضه يقول طرفة بن العبد : (٢)

تصدَّقْ عليّ هداك المليكُ ∴ فإنَّ لكلّ مقامٍ مقالا

ويقول النابغة : (٣)

فقبلَكَ ما قَذَعتْ وقاذعوني ∴ فما نَزَرَ الكلامُ وما شَجاني

ويقول مزرد بن ضرار : (٤)

فعدّ قريضَ الشعر إن كُنتَ مُفْزِرا ∴ فإنَّ غزيرَ الشّعر ما شاء قائلُ

ويقول بدر بن عامر الهذلي : (٥)

ولقد عرفتُ القول يأتي ساكنًا ∴ ولقد عرفتُ مقالةَ التّخشينِ
ولقد نطقتُ قوافياً إنسيّةً ∴ ولقد نطقتُ قوافيَ النّجنينِ

ولم يقتصر فخرهم على السبح في بحور الشعر وتفننهم في أغراضه وموضوعاته بل افتخروا أيضا بدقة معانيهم ، وعدم التوائها

---

(١) ديوان أبي تمام : ٢١٤/١ .
(٢) شرح ديوان طرفة: ١٨٠، وينسب هذا البيت للحطيئة وصدره « تحنن ... »، يخاطب به عمر بن الخطاب ﷺ.
(٣) ديوان النابغة : ١٤٨ .
(٤) المفضليات : ١٠١ .
(٥) ديوان الهذليين : ٢٦٦/٢ .

وبعدها عن التكلف وخلوها من الافتعال والتصنع.يقول لبيد بن ربيعة : [1]

ومقـــامٍ ضـــيّقٍ فرّجتُـــه ∴ بمقـــامي ولســـاني وجَـــدَلْ
فرميـــتُ القـــومَ رِشْـــقاً صـــائبا ∴ لـــيس بالعصـــل ولا بالمُتَفِـــلْ

ويقول زهير بن أبي سلمى :

وذي نعمـــةٍ تـــمَّمْتُها وشـــكرتُها ∴ وخَصْـــمٍ يكـــاد يغلـــب الحـــقّ باطلُـــه
دفعـــتُ بمعـــروفٍ مـــن القـــولِ صـــائبٍ ∴ إذا مـــا أضـــلّ القـــائلين مفاصـــلُه

وذموا الكذب، لأنه يؤدي إلى هلهلة نسج الكلام يقول النابغة : [2]

أتـــاك بقـــولٍ هَلْهَـــلَ النســـجَ كـــاذبٍ ∴ ولم يـــأتِ بـــالحقّ الـــذي هـــو ناصـــعُ

كما ذموا خطل اللسان ، والخطل هو الكلام الكثير الفاسد المضطرب. والأخطل هو فاسد العقل الذي يحسب الخطأ صوابا ، يقول زهير بـــن أبي سُلمى : [3]

وذي خَطَـــلٍ في القـــولِ يحســـبُ أنّـــه ∴ مصـــيبٌ فمـــا يُلْمِـــمْ بـــه فهـــو قائلُـــه
عبـــأتُ لـــه حِلمـــي وأكرمـــتُ غـــيرَه ∴ وأعرضـــتُ عنـــه وهـــو بـــادٍ مقاتِلُـــه

ومدحوا الصدق والحق يقول ثعلبة بن صعير المـــازني وهـــو جاهلي قديم [4] :

ولـــرُبّ خَصْـــمٍ جاهـــدين ذوي شَـــدًا ∴ تَقْـــذِي صـــدورهم بـــهَتْرٍ هـــاترِ
لُـــدٌّ ظـــأرتُهم علـــى مـــا ســـاءهم ∴ وخســـأتُ باطلَـــهم بحـــقٍ ظـــاهرِ
بمقالـــةٍ مـــن حـــازمٍ ذي مِـــرّةٍ ∴ يـــدأ العـــدوّ زِئـــرُه للزّائـــرِ

ومدحوا ترابط المعاني وتسلسلها ، يقول قيس بن الخطيم [5] :

وبعـــضُ القـــولِ لـــيس لـــه عِنَـــاج ∴ كمَخْـــضِ المـــاء لـــيس لـــه إتـــاء
يصـــوغ لـــك اللســـانَ علـــى هـــواه ∴ ويفضـــحُ أكثـــرَ القيـــلِ الـــبلاء

---

(١) ديوان لبيد : ١٣١ . الرشق : دفعة من السهام ترمى مرة واحدة . العصل:المعوجّة .المفتعل:الذي لم يبر بريا جيدا،ويروى(بالمفتعل) : وهو الكذب .

(٢) ديوان النابغة : ٤٩ ، هلهل النسج : مضطرب .

(٣) شرح شعر زهير : ١١٠ – ١١١ .

(٤) المفضليات : ١٣١ ، المفضلية رقم : ٢٤ . ظأرتهم : عطفتهم . المرّة : القوة وشدة العقل . يدأ العدو : يدعه.

(٥) ديوان قيس بن الخطيم : ٩٥ .

والعناج : حبل أو سير يشدُ به أسفل الدلو ، ويتصل طرفاه من أعلاها بما تتصل به آذانها ، فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع في البئر . شبه الروابط المعنوية التي تسري في أوصال الكلام فتربط بعضه ببعض وتصل أوله بآخره بالعناج ، والإتاء : الزبد يقال لبنٌ ذو إتاء : أي ذو زبد . ويطلق على الريع والغلة والتمر ، وإتاء النخلة ريعها وكثرة ثمرها . والمعنى أن الكلام الذي لا يتدبر فيه قائله ويرسله وفق ما عنّ له يكون غير مترابط المعاني وليس له فائدة وقائله كماخض الماء ليستخرج منه زبدًا وهيهات له ذلك .

إن صدق التعبير عما يجول في النفس من مشاعر وخواطر يؤدي إلى ترابط المعاني ترابطاً يُدرك بالفطنة ، ويعيه العقل ، وهذا الترابط في معاني الشعر هو الخيط الذهني أو العقلي الذي يأخذ الكلام به بعضه بحجز بعض فيحقق الغرض منه ويؤثر في المتلقين لصدقه. وترابط معانيه وتلاحم أجزائه.

بد اللفظ :

من المسلّم به أن العلاقة بين معاني الشعر وألفاظه علاقة وثيقة لا انفصام فيها وإذا كان الشاعر يجب عليه أن يتحرى صدق معانيه بالغوص وراءها في أعماق نفسه، فيجب عليه أيضا أن يجتهد في اختيار ألفاظه وإحكام أسلوبه المعبّر عن عواطفه ، والمصوّر لخواطره والموضّح لأفكاره ومعانيه ، وهذا الجهد في اختيار الألفاظ وإحكام الأساليب وحسن التصوير هو ما يسمى بصنعة الشعر التي يبذل فيها الشاعر أقصى طاقته ويستفرغ فيها كل جهده وعنايته .

إن العثور على الكلمة الملائمة والأسلوب المناسب الذي يصور المعاني والأفكار، ويجسد المشاعر والعواطف التي تجول في نفس الشاعر وخاطره ليس ميسورًا في كل حال، ولذلك فإن الشاعر يضني نفسه ويجهدها في التنقيب والبحث عن الكلمة الملائمة بين الألفاظ

المتقاربة الدلالة حتى يصل إلى الكلمة التي يشعر بأنها تدل على المعنى المتلبس بذهنه، وتصور الشعور الذي يملك عليه نفسه . فيختارها لأنه رأها أفضل من غيرها في التعبير عما يحس بها . وتصوير ما انفعل به ، وقد عبرت الخنساء عن ذلك بقولها [1] :

زجرتُ فأرسلتُها غربةً ∴ وجمجمتُ في الصدر إهمالها

والقصيدة الغربة : هي البعيدة الشأو ، التي ليس لها مثيل ولا نظير ، لنفي ما قد يكون فيها من حشو ، وتنقيتها من الفضول التي ربما كانت ملتبسة بها في لحظة الإبداع .

ومن يقرأ شعر الجاهليين والمخضرمين يجدهم وصفوا جهدهم في صنعة الشعر وتقويم بنائه وإقامة صورد بالتثقيف والإحكام والنخل والوشى والتحبير والحوك وغيرها من الألفاظ التي تدل على مبلغ عنايتهم ، ومدى ما يبذلونه من جهد في صنعة الشعر حرصا منهم على تجويد شعرهم وتحسينه وإتقانه حتى يأتي بريئا من العيوب التي تخل بفصاحته، وتزرى ببلاغته ، وتذهب بجمال صورد وعذوبة موسيقاه ، وما ذلك إلا لامتلاكهم ناصية اللغة ووضوح دلالات ألفاظها في أذهانهم ، وقدرتهم على التصوير بها ، وإحساسهم بموسيقاها المتشبعة بها ، الدالة على حركة العواطف والأفكار في نفوسهم وخواطرهم .

فمثال التثقيف قول امرئ القيس : [2]

إذا قلتُ أبياتاً جيادا حفظتها ∴ وذلك أنى للقوافي مثقف

وقول كعب بن زهير : [3]

فمن للقوافي ؟ شانها من يحوكها ∴ إذا ماثوى كعب وفوّز جرول
يقول فلا يعيي بشيء يقوله ∴ ومن قائليها من يسئ ويعمل

---

(١) ديوان الخنساء : ١٠٦ .
(٢) ديوان امرئ القيس : ٣٢٥ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
(٣) شرح ديوان كعب بن زهير : ٥٠ – ٥١ .

يُثقّفها حتى تلين متونها ∴ فيقصُر عنها كلُّ ما يُتمثّلُ

والتثقيف من قولهم : ثقّف الشيء : حذقه وأقام معوّجه وسوّاه، والثقاف : أداة من خشب أو حديد تثقف بها الرماح لتستوى وتعتدل ، فأصل التثقيف في الرماح والقنا ثم استعير للكلام ، وتثقيف الشعر إتقانه وتجويد صنعته بتخليصه من الحشو والزيادة، وقائله مثقّف : أي حاذق فطن ضابط لصنعته عارف بما تحتاج إليه صنعة الشعر عليم بكيفية مجيء شعره مستقيما مستويا غير ذي عوج .

وقد روى صدر البيت الثالث من أبيات كعب بن زهير « يقوّمها حتى تقوم متونها » أي أنه قائم عليها يحسن القيام بأمرها حتى تنتصب متونها فتظهر في أحسن هيئة يعجز الناس عن بلوغ شأوها ومنزلتها .

ومثال الإحكام قول تأبط شرا : (١)

حمّالُ ألوية ، شهّادُ أندية ∴ قوّالُ مُحكَمة جوّابُ آفاق

وقول النابغة : (٢)

بحَسبكَ أن ثهاض بمُحكَماتٍ ∴ يَمُرُّ بها الرّوِيُّ على لساني

وقول برة بنت الحارث : (٣)

وأقام منطقه فأحكمه ∴ وروى وجالس كلّ ذي حِجر

وقول أبي شريح العمير : (٤)

لذيذاتِ المقاطع محكَماتٍ ∴ لو انّ الشّعر يُلبَسُ لارتَدينا

والإحكام من قولهم أحكم الشيء والأمر ، أتقنه ، واستحكم الشيء : صار محكما لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا فساد ، فلا عجب أن وصفوا قصائدهم بالمحكمات لإتقان صوغها وإحكام نسجها،

(١) ديوان تأبط شرا : ٥٠ .
(٢) ديوان النابغة : ١١٢ .
(٣) الاختيارين : ٢٨٨ .
(٤) دلائل الإعجاز : ٥١٣ .

وقد وصف الأعشى القصيدة المحكمة فسمّاها حكيمة ، أي متقنة البناء دقيقة المعاني تشهد لصاحبها بالإتقان والحذق والمهارة فيقول:(١)

وغريبةٍ تأتي الملوكَ حكيمةٍ ∴ قد قلتُها ليُقالَ مَن ذا قالها

وأما النخل والتنخل فمثاله قول حسان ﷺ : (٢)

وَعِدًّا خطيبا لا يُطاقُ جوابُه ∴ وذا أَرْبَةٍ في شعره مُتَنَخِّلا

وقول مزرد بن ضرار مخاطباً كعب بن زهير والحطيئة : (٣)

فإنْ تَجْشِبا أجْشِبْ وإن تَتَنَخَّلا ∴ وإنْ كنتَ أفتى منكما أتَنَخَّلُ

والنخل : التصفية ، يقال نخل الشيء : صفاه واختاره وعزل لبابه . وانتخلت الشيء وتنخلته: استقصيت أفضله وتخيرت أجوده. فكأن الشاعر يهز اللغة هزا، وينثرها أمامه ليختار منها أفضل الألفاظ، وينتقي منها أجود الأساليب ، يبنى منها شعره، ويقيم عليها قوافيه ، مصورًا بها مشاعره وأحاسيسه . يقول الشاعر : (٤)

تنخلتُها مدحا لقوم ولم أكُنْ ∴ لغيرهم فيما مضى أتنخَّلُ

وأما الحوك والوشى والتحبير فهو وإن كان عملاً في اللفظ والأسلوب إلا أن المراد منه إبراز المعنى في صورة حسنة وموسيقى عذبة وكثيرا ما وصف الشعراء به عملهم في صنعة الشعر طلبا لجمال الصورة وزينتها ، وحسن الموسيقى وعذوبتها .

فالحوك:هو النسج والتأليف . والوشى : هو النمنمة والنقش . والتحبير : هو التزيين والتحسين والتنميق ، من حبّرت الشيء

---

(١) ديوان الأعشى (الكبير) : ١٣٩ .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٤٠٥ .

(٣) طبقات فحول الشعراء : ١٠٥ ، تجشبا : تأتيا بكلام خشن غليظ جافٍ لم يثقف ولم يُنخل .

(٤) البيت في اللسان « نخل » وفي هامش ص ٤٠٥ ، من شرح ديوان حسان للبرقوقي .

تحبيرا إذا حسنته وزينته ، والحَبَرَةُ في اللغة : كل نغمة حسنة محسنة ، جاء في حديث أبي موسى الأشعري (لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرتها لك تحبيرا) [١] . وكان يقال لطفيل الغنوي في الجاهلية : مُحبِّراً لحسن شعره [٢] .

فالشاعر حائك ومحبّر وواشٍ ، لأنه ينسج من اللغة أشعارا تحمل أفكاره . وتصور معانيه ، مزدانة بأجمل الصور وأرق الألفاظ. وأحسن العبارات، وألذ الأنغام .

يقول حسان بن ثابت : [٣]

وأخي من الجنّ البصير إذا ∴ حاك الكلام بأحسن الحَبَرِ

ويقول أبو قُرْدُودة الطائي يرثي عمرو بن عمار : [٤]

يا جَفْنَةً كإزاءِ الحوض قد هدموا ∴ ومنطقاً مثل وشي اليَمْنَةِ الحَبِرِه

ويقول حميد بن ثور الهلالي : [٥]

أجِدَّ بليلى مِدحةً عربيةً ∴ كما حبّر البُردَ اليماني المسَبَّع

ويقول أوس بن حجر : [٦]

وإن هرّ أقوامٌ إليّ وحدّدوا ∴ كسوتهم من حَبْر بَزٍّ مُنَمَّم

ويقول حسان بن ثابت : [٧]

أهدى لهم مِدحى قلبٌ يُوازِرُه ∴ فيما يُحبّ لسانٌ حائكٌ صَنَعْ

وأيضاً صرح الشعراء الجاهليون والمخضرمون بأنهم يعدون شعرهم ويجهزونه باللفظ الجيد ، والقول البليغ ، والمعنى البديع .

---

(١) ينظر : مادة (حبر) في لسان العرب وتاج العروس والمعجم الوسيط .

(٢) سؤلات أبي حاتم : ٣٣ .

(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٢٢٧ .

(٤) البيان والتبيين : ٢٢٣/١ ومعجم الشعراء للمرزباني : ٢٣٦ .

(٥) ديوان حميد بن ثور : ١٠٨ .

(٦) ديوان أوس بن حجر : ١٢٣ .

(٧) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٠٤ .

لينال الإعجاب ويحظى بالرواية والإنشاد فيُكتب لهم السبق والفلج .

يقول طفيل الغنوي : [1]

إنّي أعدُّ لأقوام أفاخرهم ∴ إذا تُنوزِع عند المشهد القيلا

ويقول أبو ذؤيب الهذلي : [2]

فأقسمتُ لا انفكُّ أحذو قصيدة ∴ أذعّكَ وإيّاها مثلا بعدي

ويقول الأعشى : [3]

إليكم قبل تجهيز القوافي ∴ تزور المنجدين مع الرِّياحِ

ويقول بشر بن أبي خازم الأسدي : [4]

قوافٍ عُرّمٍ لم يسبقوها ∴ وإنْ حُلّوا بسُلمى فالوِراقِ

أجَهّزُها ويحملُها إليكم ∴ ذوي الحاجاتِ والقُلصُ المناقي

ويرى ابن جني أن عناية الشعراء بإحكام بناء الشعر بالتثقيف والصقل والتوشية والحوك ليس لعباً بالألفاظ وإنما هو عناية بالمعاني ، فيقول « فإنها – الألفاظ – لما كانت عنوان معانيها . وطريقاً إلى إظهار أغراضها ، ومراميها أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ، ليكون ذلك أوقع لها في السمع ، وأذهب بها في الدلالة على القصد[5].

إذن التجهيز والتثقيف والحوك والوشي والتحبير الذي افتخر به الشعراء مبعثه الخوف من السقط والزلل ، وله سبب فني يتمثل في حرصهم على تجويد شعرهم ، ومجيئه دالاً على مرادهم دون زيادة أو نقصان بحذف فضوله ونفي ما قد يكون فيه من حشو ، وتدارك ما يكون قد اعتراه من نقص ، ليضمنوا له الحفظ والسيرورة ، والعلوق في الأذهان، فيصبح أمثالا سائرة يرددها الرواة ،

---

(١) شعر طفيل الغنوي : ٣٢ .

(٢) ديوان الهذليين : ١٥٩/١ .

(٣) ديوان الأعشى الكبير : ٢٢٣ .

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم : ١١٦ .

(٥) الخصائص : ٢١٦/١ ، ٢١٧ .

ويتناشدها الناس في كل محفل ومجمع .

على هذا النحو من العناية بالشعر وصنعته كان الشعراء الجاهليون والمخضرمون يبذلون قصارى جهدهم في بناء شعرهم ، يعنون به معنى ولفظاً وصورة . يجهزونه بالمعنى الرائع الدقيق. والأسلوب الجزل المحكم، والخيال البارع ، كل منهم يحرص على أن يأتي شعره صورة لما يعتمل في ذهنه ، ويجيش به صدره ، يحمل طبعه هو فلا يشبه شعر غيره، إيماناً منهم بأن الشعر الجيد هو الذي يصدر عن موهبة أصيلة ، ويدل على تفرد قائله بين الشعراء . شاهداً له بالحذق والفطنة والمهارة، والقدرة على توظيف اللغة وفق مشاعره ووجدانه ، والتعبير بها عن خفي خواطره ودقيق أفكاره ومعانيه .

إن الشعراء الجاهليين والمخضرمين هم أصحاب اللغة . وهم بحكم طبيعتهم الفنية وإحساسهم بمواقع الألفاظ والأساليب من النفس أقدر الناس على إدراك الفروق الدقيقة في اللغة ، لأنها أداتهم الوحيدة في تكيفهم مع الكون والوجود من حولهم ، بل إنها بحكم فطرتهم الفنية جزء من كيانهم يدركون الفوارق الجمالية في استعمالاتها ، ويستطيعون إيجاد الأساليب المعبرة بدقة وصدق عن مشاعرهم وخواطرهم ، ولهذا كانوا حريصين على تجويد بناء شعرهم حتى يبلغ أقصى درجات الجودة والحسن فتثبت لهم الشاعرية ويتحقق لهم السبق في مجتمع يقدّر الكلمة الشاعرة، وينزل قائلها أعلى المنازل وأسنى المراتب .

فلا غرابة في حرصهم على تثقيف شعرهم ونخله . والعناية بحوكه وتحبيره ووشيه ليأتي حاملاً مشاعرهم معبراً عن خواطرهم . صادقاً في التعبير عما فطنوا له وشعروا به . ولهذا افتخر كل منهم بأن شعره لا يلتبس بشعر غيره ، لأنه صورة نفسه . ومرآة لُبّه.

وعلامة على شخصيته ، وعنوان على تفرده بين الشعراء .

يقول بشامة بن الغدير : [1]

إني امرؤ اسمُ القصائدِ للعدا ∴ إنَّ القصائد شرُّها أغفالُها

ويقول حسان بن ثابت : [2]

لكلِّ أناسٍ ميسَمٌ يعرفونه ∴ وميسَمُنا فينا القوافي الأوابدُ

الأوابد : جمع آبدة ، وهي الأمر العجيب يُستغرب له .

والقوافي الأوابد : هي القصائد العجيبة الحسن الخالدة الباقية على ألسنة الرواة مدى الدهر .

وَميسَم الشاعر هو شعره الذي يخرج به على الناس ، وعليه أثر الحسن، وآمارات الجمال ، فتتقبّله الأذواق ويتغنى به الركبان. ويتناشده الناس في المحافل.

يقول الدكتور محمد أبو موسى : « ميسمه (الشاعر) هي قوافيه التي تصدر عن طبعه ، وكل ما يبذله ويعانيه وهو يقيم صوره ويستخرج هيأتها وأشكالها ويفتح أبواب رموزها وإشاراتها يعني هو ما تلبس به وهو يعمل الشعر، هو التعمل والتأمل والصنعة والحذق والنظر الذي يدق » [3].

فبناء الشعر بما يحتوي عليه من معان وألفاظ وعبارات وصور هو موضع الصقل والتثقيف، والتجويد والإحكام ، وحسن التوشية ، وجمال التحبير ، إذ لا يُعد الشاعر شاعرا لأنه فكر أو أحسّ فقط ولكن لأنه عبّر ، وجاء تعبيره وبناء أساليبه وصوره وفقا لما يمور في نفسه من مشاعر وعواطف ، وما يجول في لبّه من معان وأفكار. فيبعث في نفس المتلقي هزة وأريحية ، واستحسانا وتجاوبا. فالمتلقي حين يهتز لنص شعره فما ذلك إلا لأن الشاعر بنى شعره

(١) شعر بشامة بن الغدير : ٢٢١ .
(٢) السابق : ١٧١ .
(٣) مدخل إلى كتابي عبد القاهر : ٢٨٢ .

وفق ما في نفسه ولبّه من معان وخواطر وعواطف وأحاسيس .

يقول عبد القاهر الجرجاني : (فإذا رأيتها – يعني الأبيات من الشعر – قد راقتك وكثرت عندك ، ووجدت لها اهتزازاً في نفسك ، فعُد فانظر في السبب واستقص في النظر فأنك تعلم ضرورة أن ليس إلا أنه قدّم وأخر ، وعرّف ونكّر وحذف وأضمر ، وأعاد وكرّر ، وتوخي على الجملة وجهاً من الوجوه التي يقتضيها علم النحو (يعني المعاني التي في النفس)فأصاب في ذلك كله،ثم لطُف موضع صوابه ، وأتى مأتى يوجب الفضيلة) [١].

فالشاعر الجاهلي لديه بحكم اتصاله بالإبداع الفني وفهمه الدقيق للغة ذوق فطري يمكنه من تذوق جماليات الشعر المتمثلة في التآلف بين مكونات العمل الشعري ، وهو – كما يقول جون كوين – ليس مبدع أفكار بل مبدع كلمات، وكل عبقريته تكمن في اختراع الكلمة الدالة على أفكاره وخواطره والموحية بعواطفه ومشاعره ، فوجود حساسية غير عادية لا يخلق شاعرا كبيرا [٢].

ج- الموسيقى :

الشعر ليس مجرد تركيب لغوي محض، أو مجموعة من الكلمات تأتي متراصة في شكل مخصوص ، وإنما هو بناء موسيقي موزون مقفى يبين إحساس الشاعر باللغة وجمالياتها الفنية والموسيقية لإبراز ما يستكن في نفس الشاعر من عواطف وأفكار. وما يجول في لُبّه من مشاعر وخواطر في صورة موسيقية ذات أنغام موحية مؤثرة .

والشعر لا يعد شعراً إذا فقد عنصر الموسيقى وموسيقى الشعر تنبع من لغته وليست منفصلة عنه ، يقول الدكتور شوقي ضيف : (لا

(١) دلائل الإعجاز : ٨٥ .
(٢) النظرية الشعرية : ٦٤ .

يوجد شعر بدون موسيقى، وهي فيه تقوم مقام الألوان في الصورة ، فكما أنه لا توجد صورة بدون ألوان ، كذلك لا يوجد شعر بدون موسيقى وأوزان وأنغام)[1].

وقد أدرك الشعراء الجاهليون منذ أن نطق أولهم بالشعر أن الموسيقى أساس في بناء الشعر ، تفرضه طبيعته لأنها بعض قيمه الفنية والجمالية ، فهدتهم سليقتهم إلى الفنية إلى الحرص على أن يوفروا لشعرهم كل العناصر الموسيقية التي بدونها لا يُعدَ الكلام شعراً، وجاءت موسيقى شعرهم على نوعين يكمل كل منهما الآخر.

النوع الأول : تكفلت به مقاييس صوتيه في داخل النص الشعري تتألف من أصوات الحروف وجرس الكلمات وأنغام الألفاظ ، وهو ما يسميه النقاد بالموسيقى الداخلية.

والنوع الثاني : يتمثل في الوزن والقافية وبهما يتحقق للشعر شكله ومظهره الذي يميزه عن سائر ضروب القول وفنون الكلام . وعليهما تبنى عباراته وأساليبه وصوره التي تشفَ عن خفيَ المشاعر والعواطف ، وتبين عن دقيق المعاني والأفكار . فهما – الوزن والقافية – يقومان في الشعر مقام الهيكل العظمي للإنسان الذي يقوم عليه اللحم والدم ، ويجرى فيهما العصب والإحساس .

إن الوزن هو الوسيلة التي تجعل اللغة شعراً ، وبه يتميز الشعر من النثر ، وهو ظاهرة طبيعية للعبارة ما دامت تؤدي معنى انفعاليا ، وتعبر عن عاطفة جياشة ، فالإنسان المنفعل الجيَاش العاطفة يتزن كلامه – دون قصد منه – اتزاناً يجذب بإيقاعه وموسيقاه قلوب السامعين، ويستولى على عقولهم وأفئدتهم .

والانفعال الذاتي للشاعر هو الذي يُنشئ وزن شعره ، ومعنى هذا كما يقول الدكتور جابر عصفور : (أن الوزن ليس أمراً مفروضاً

(١) في النقد الأدبي : ٩٥ .

على القصيدة ، أو مجرد قالب تُصب فيه التجربة، وإنما هو أمر مرتبط بالمبدأ المحرك للنظم الشعري ذاته ، مما يؤكد أن كل تجربة شعرية تفرض وزنها الخاص ، كما تفرض كيفية خاصة في تشكيل الإيقاع ، وإذا كان الوزن الشعري ينبع من تآلف الكلمات في علاقات صوتية لا تنفصل عن العلاقات الدلالية والنحوية ، فإن القصيدة في هذه الحالة تستمد إيقاعها من مادتها ، أي من اللغة) [١].

إن الشاعر إنسان حسّاس ينفعل لكل ما يمر به من مواقف وأحداث، فيتجاوب معها ، ويصورها بخياله المحلّق الذي لا يقف عند حدود الواقع المشاهد في ألفاظ وعبارات موزونة ذات نغم عذب وإيقاع لذيذ ، مكّنه من ذلك استعداد فطري ، ومقدرة فنية على صوغ عباراته في قالب موزون يتلاءم مع انفعالاته ويصور تموجات عواطفه وأفكاره كما تجول في نفسه ، فالوزن صورة لحركة الانفعالات ، وتموجات العواطف والأفكار التي تجيش بنفس الشاعر، ومهمته تثبيت موسيقى هذه الانفعالات والتموجات النفسية ، يقول «جويو» : (ما فن الشاعر في القديم والحاضر إلا تثبيت موسيقى الانفعال وتحسينها) [٢].

إن الوزن لا ينفصل عن المعنى الذي يعبر عنه الشاعر ، بل هو صورته وهيئته ، فالمعنى حين يتشكل في ذهن الشاعر يستدعي الألفاظ والأساليب التي تتناسب أوزانها مع محتواه ، وتتجانس معه ، وليس معنى ذلك – كما يقول الدكتور جابر عصفور – أن الوزن منفصل عن المعنى أو تالياً له يأتي بعقبه لأن (الوزن في ذاته صورة مجردة لا قيمة لها منفصلة عن المعنى ، والتناسب الذي يمكن أن يتميز به الوزن لا يمكن أن يُفهم بعيدا عن التجربة ، ذلك لأن لغة

(١) مفهوم الشعر : ٧٦ – ٧٧ .
(٢) مسائل فلسفة الفن المعاصرة : ١٦٧ .

الشعر ليست كأنغام الموسيقى مجرد عناصر صوتية مجردة ، بل هي عناصر لغوية لا يفارق فيها الصوت المعنى بأي حال) [١].

وأما القافية التي هي آخر البيت الشعري فهي تتمم موسيقى الشعر ، وبها يحسن موقع الكلام الموزون من النفس ، ويكمل الإحساس باللذة الفنية ، وقد أولاها العرب عنايتهم في أشعارهم ، فحرصوا عليها لعناية النفس بما يقع في النهاية، وعدّوها أجلّ وأغلى ما في القصيدة لكونها مظنة اشتهار الإحسان والإساءة. ولأهميتها وكونها أشرف أجزاء موسيقى الشعر نصح بعض العرب بنيه فقال : « أجيدوا القوافي فإنها حوافر الشعر أي عليها جريانه واطّراده ، وهي مواقفه ، فإن صحت استقامت جريته، وحسنت مواقفه ونهاياته »[٢]. وقال ابن جنّي : (العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع .. والقافية أشرف عندهم ، والعناية بها أمسّ ، والحشد عليها أوفى وأهم) [٣]، وهذه الأهمية هي التي سوّغت لهم إطلاق اسم القافية على القطعة من الشعر وتسمية الأشعار بالقوافي .

وقد حرص العرب على القافية كما حرصوا على الوزن في أشعارهم ، فالتزموا في أواخر أشعارهم صورة مخصوصة مطردة أطلقوا عليها اسم القافية، تحسينا لنهايات الكلام، وفرقاً بين المعاني، وطلباً للذة ، وقد علل حازم القرطاجني حرص الشعراء العرب على تقفية أشعارهم بقوله : (لأنهم احتاجوا إلى فروق بين المعاني ، وتحسين نهايات الكلمة بالجملة ، ثم إنهم لو أجروا أواخر الكلم كيف اتفق لم يكن ذلك ملذوذاً ، لأن ذلك أمر لا يرجع إلى نظام ، ولجري الأمور على نظام منضبط محكم موقع عجيب من النفس ، بحفظ

(١) مفهوم الشعر : (جابر عصفور : ص ٤١٠ – ٤١١) .
(٢) منهاج البلغاء : ٢٧١ .
(٣) الخصائص : ٨٥/١ .

المتكلم لنظام كلامه ، ومقابلته بضروب هيئاته ضروب هيئات المعاني اللائقة بها. ولو كان الأمر في ذلك على غير نظام لما كان للنفوس في ذلك تعجيب ، ولكانت الفصاحة مرقاة غير معجزة أحدا) [١].

إن الوزن والقافية عنصران أصيلان في بناء الشعر العربي، وليسا حلية شكلية، ولا زينة خارجية وإنما هما عماد بنائه ، وبهما مع أنغام الكلمات وجرس الحروف تتم موسيقى الشعر، تلك الموسيقى التي تعبر عن الوجدان ، وتنقل الأحاسيس ، وتصور المشاعر وتجسّد المعاني والأفكار التي قد تعجز الألفاظ عن نقلها أو الإيحاء بها .

إن الشعر لغة العاطفة واللبّ الزاكي ، وباعثه الانفعال النفسي، فالشاعر حين تجيش نفسه بالشعر تأتي الموسيقى الشعرية ملائمة حالته النفسية ومصورة أفكاره ومعانيه، يقول « سبنسر » : (إن خير الموسيقى ما تتمشى مع الأفكار، وتتساوق مع المعاني، وتتجاوب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس) [٢] ، فالشعر ما هو إلا الاستجابة الفنية لنزعة التعبير عند الإنسان ، وهو يمثل الوجه الفني لما يختلج في النفس الإنسانية من نوازع وانفعالات كما أنه أصدق معبّر عما انفعلت له النفس، وأدق مصوّر لما يسود حياة الشاعر من أحداث ومواقف .

وقد افتخر الشعراء الجاهليون بأن موسيقى شعرهم صورة لما يجيش في نفوسهم لإدراكهم أن هذه الموسيقى خير معبر عن أنغام النفس، وتموجات الخواطر، وجيشان العواطف التي تتلاطم في قلوبهم . وقد عبر عن ذلك حسان بن ثابت ﷺ فقال : [٣]

---

(١) منهاج البلغاء : ١٢٣ – ١٢٤ .
(٢) الشعر المعاصر : ١١٥ .
(٣) شرح ديوان حسان بن ثابت : ٣٢١ رُضّع : لئام أخسّة .

قد حان قولُ قصيدةٍ مشهورةٍ ∴ شنعاءَ أرصدُها لقومٍ رُضَّع
يغلي بها صدري وأحسِنُ حوكها ∴ وأخالُها ستُقالُ إن لم تُقطع

وقال : [1]

لكلِّ أناسٍ ميسَمٌ يعرفونه ∴ وميسَمُنا فينا القوافي الأوابدُ
إذا ما كسرنا رمحَ رايةِ شاعرٍ ∴ يجيشُ بنا ما عندنا فنُعاوِدُ

ويقول المسيّب بن علس : [2]

فلأهدينَّ مع الرياح قصيدة ∴ مني مُغَلغَلةً إلى القعقاعِ
ترد المياه فما تزال غريبة ∴ في القوم بين تمثُّلٍ وسماعِ

وحميد بن ثور الهلالي يفتخر بشعره فيقول: [3]

قصائد تستحلي الرواةُ نشيدها ∴ ويلهو بها من لاعب الحيّ سامرُ

ويقول مزرّد بن ضرار : [4]

زعيم لمن قاذفته بأوابدٍ ∴ يُغنّي بها السّاري وتحدَى الرواحلُ
مذكرةٍ تُلقى كثيراً رُواتُها ∴ ضواحٍ لها في كل أرضٍ أزاملُ
تكرُّ فما تزدادُ إلا استنارةً ∴ إذا رازتِ الشعرَ السُّفاةُ العواملُ

ويقول الشاعر الجاهلي أبو شريح العمير: [5]

فإن أهلِكْ فقد أبقيتُ بعدي ∴ قوافيَ تُعجِبُ المتمثلينا
لذيذاتِ المقاطع محكماتٍ ∴ لو أن الشعر يُلبَس لارتدينا

ومقاطع الشعر هي موسيقاه النابعة من أوزانه وقوافيه وجرس حروفه ، وهي التي تمنحه اللذة والحلاوة في السمع ، وتبعث في نفوس المتلقين النشوة والطرب ، فيقبلون على إنشاده والتغني به .

فهذه الأمثلة وغيرها كثير تدل على أن الجاهليين كانوا مدركين قيمة الموسيقى كعنصر من أهم عناصر بناء الشعر، وأن هذه البنية الموسيقية جزء لا ينفصل عن البنية اللغوية ولا يفارق حركة المعنى

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت : ١٧١ – ١٧٢ .
(٢) المفضليات : المفضلية رقم : ١١ ، ص ٦٢ .
(٣) ديوان حميد بن ثور الهلالي : ٨٩ .
(٤) المفضليات : ص١٠٠ ، المفضلية رقم : ١٧ .
(٥) ينظر : البيان والتبيين : ٢٢٢/١ ، دلائل الإعجاز : ٥١٣ ، وديوان المعاني للعسكري : ٨/١ .

في نفس الشاعر، وأنها مع سائر العناصر الأخرى التي يتركب منها الشعر إنما هي مناط الشاعرية وسرّ الشعر وروحه .

إن جودة الشعر وقوة تأثيره في النفوس إنما تنبعث من أوزانه وقوافيه وجرس حروفه وأنغام كلماته، وموسيقاه المتموجة وفقا ما يمور في نفس الشاعر من انفعالات، وما يجيش في صدره من عواطف ، وما يجول في عقله من خواطر وأفكار ، وأن هذه الأنغام الموسيقية تكسب الشعر لذة وحلاوة وتُحدث في نفوس السامعين هزة ونشوة ، وتبعث فيها خفة وطرباً فيقبلون على الشعر رواية وحفظاً مترنمين به ، متمثلين بأبياته في كل ما يمر بهم من أحداث ومواقف، مأخوذين بحلاوة هذا النغم الكامن في الألفاظ والمعاني والتراكيب والصور الخيالية والأوزان والقوافي ، ولذلك افتخر الشعراء بسيرورة شعرهم يقول حسان بن ثابت [1].

وقد سارت قوافٍ باقياتٍ ∴ تناشدها الرُّواةُ بكلِّ وادي

ويقول عنترة بن الأخرس مفاخرًا بشعره : [2].

ألم ترَ أنّ شعري سارَ عنّي ∴ وشعرك حولَ بيتك ما يَسيرُ

وسيرورة الشعر ناشئة من استجادة الناس له وتمثلهم به ، وتلذذهم بسماع موسيقاه، ويحدثه في نفوسهم من هزة ونشوة. ويبعثُ في عقولهم من دهشة وتأمل، ولما يضع أمام أعينهم من حقائق كانت خافية عليهم ، فالناس جميعاً لديهم أفكار وعواطف ، ولكن الشاعر وحده هو الذي يستطيع أن يصوغ هذه العواطف

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت : ١٩٦ .

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١١٩/١ وفيه قال أبو هلال : يعرف بعنترة بن عكبرة ، وعكبرة أم أمه وبها يعرف وهو شاعر فارس مشهور . وقال ابن دريد : « عنترة بن الأخرس الشاعر جاهلي » الاشتقاق :٣٨٨ . وفي المؤتلف والمختلف للآمدي : ١٥٢ . عكبرة اسم أمه وبها يعرف .

والأفكار في شكل فني وعمل شعري يشدهم إلى متابعة ما يجول في أعماقه من أسرار ، وما يكتنف روحه من حقائق ، لأن المتلقين لا ينظرون إلى الشعر على أنه ألفاظ وأبنية ، وإنما يستقون منه أفكارا وآدابا وحكما وخواطر ، فالشاعر العظيم هو صوت كل إنسان وشعره الساحر يظل باقياً حيًا ممتلأ بالحياة يهب صاحبه الخلود .

إن الشعر بناء لغوي يصور ما في لُبِّ قائله من مشاعر وعواطف ومعان وأفكار، وهذا البناء الشعري ليس سهلا ولا هينا . وإنما هو عمل شاق يجهد فيه الشعراء أنفسهم، ويتكلفون في سبيله كل صعب وذلول ، يكدحون وراء المعاني سابحين في بحورها ، غائصين وراء دررها ولآلئها ، ضاربين في اللغة بمعاول أذهانهم ليستخرجوا منها اللفظ الجيد والأسلوب المختار والصور الرائعة . والموسيقى العذبة المؤثرة ، لإدراكهم أن مناط الشاعرية وتفاضل الشعراء وتميز بعضهم على بعض إنما يكون باشتمال أشعارهم على عناصر الشعر المتمثلة في صدق الإحساس ودقة المعاني وجودة الألفاظ وبراعة الصور وعذوبة الأوزان وجمال القوافي ، وأن هذه العناصر يجب أن تتآلف وتتآزر وتتحد في كل متكامل ، ولا يقدر على ذلك إلا من أوتي حظاً كبيرًا من الشاعرية ، ومنح نصيبا وافرا من الموهبة والملكة الإبداعية .

وعن صعوبة عمل الشعر على غير الموهوبين يقول الحطيئة [1].

الشعر صعبٌ وطويل سُلَّمُه ∴ إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلّت به إلى الحضيض قدمُه ∴ يريد أن يعربه فيعجمه

وعن شدته على أصحابه الذين يقدرونه حق قدره ، ويأخذونه بحقه ، يقول ابن رشيق : (عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر. ويقال : إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل، أهول

(١) الأغاني : ٢/١٩٥ .

ما يكون على العالم، وأتعب أصحابه قلبًا من عرفه حق معرفته) [1].
ولذا كان فرسان الشعر أقل من فرسان الحرب كما قال الأصمعي [2].

ومن تجرأ على نظم الشعر ولم يأخذه بحقه ، وأتى بكلم موزون مقفى ، ولكنه خال من سر الشعر وروحه وعناصره طرحوا كلامه ، ولقبوه بالشويعر . وهذا اللقب «الشويعر» أطلقه امرؤ القيس بن حُجْر على مُعاصره محمد بن حمران الجعفي فقال : [3]

أبلغا عني الشويعرَ أنّي ∴ عَمَدَ عَيْنٍ تَكْبَتُهنّ حَرِيمَا

وأيضاً أطلقه يزيد ابن مخرِّم الحارثي وهو جاهلي كثير الشعر على مالك بن حريم الهمداني فقال يرد عليه فخره : [4]

ألا أبلغ بني هَمْدانَ عنّي ∴ رسالةَ ماجدٍ واري الزِّنادِ
بأنّ شويعراً منكم أتاني ∴ لهُ قولٌ يُقالُ بلا سَدادِ

وسداد القول : صوابه واستقامته وانتظامه وحسنه وقيامه بما قيل من أجله .

إن العرب الجاهليين لم يكن يشدّهم إلى الشعر شكله وهيئته الموزونة المقفاة فحسب وإنما كان يشدهم إليه مع الوزن والقافية روحه وسرّه ؛ لأن مجيء الكلام موزوناً مقفى مع خلوه من سرّ الشعر وروحه لا يمنحه اسم الشعر ، ولا يسبغ على قائله صفة الشاعرية . وحقيقة الشعر وسرّه وروحه عند الجاهليين تتمثل في أنه بوح وجداني، وهتاف روحي، إنه نداء اللبّ والعقل الفطن الذكي الذي يدرك جواهر الأشياء وحقائقها الكامنة فيها، ويفطن لخفيّ

---

(١) العمدة : ١/١١٧ .
(٢) إعجاز القرآن : ٢١٦ .
(٣) ديوان امرئ القيس : ٢٢٨ ، وينظر أيضاً : البيان والتبيين : ٢/١٠ ، والاشتقاق لابن دريد : ٩ – ١٠ ، وفيه « جلّلتين » بدل « نكبتهن » .
(٤) معجم الشعراء للمرزباني : ٤٧٩ .

المشاعر والعواطف والوجدانات والأحاسيس ، والشاعر الحق هو الذي يشعر بهذه الحقائق والجواهر ويفطن لخفي الأفكار والمشاعر، وهو وحده القادر على صياغتها في أسلوب رائق ، وعبارات محكمة، وتصوير رائع، وموسيقى عذبة الأنغام والألحان ، فإذا خلا الكلام من هذه العناصر لا يسمّى عندهم شعراً، ولا يُعدّ قائله شاعراً .

ولا يدفع ما ذكرناه من حقيقة الشعر وعناصره وشكله وهيئته الموزونة المقفاة ما ورد من إطلاق بعض العرب اسم « الشعر » على أقوال نثرية ، فقد رُوى أن حسان بن ثابت ﷺ جاءه ولده عبد الرحمن يبكي – وهو صغير – لأن زنبورًا قد لسعه ، فسأله حسان : مالك ؟ فأجاب : لسعني طائر كأنه ملتف في بردتي حبرة . فقال حسان : قال ابني الشعر وربّ الكعبة » [1].

وأيضاً رُوى أن لبيد بن ربيعة كان قد آلى على نفسه في الجاهلية ألا تهب ريح الصَّبا إلا أطعم، فهبت الصَّبا يومًا والوليد بن عقبة واليا على الكوفة في زمن عثمان بن عفان ﷺ ، فأعان لبيد بن ربيعة بمائة بكرة وكتب إليه بأبيات قالها . فقال لبيد لابنته : أجيبيه ، فلعمري لقد عشت زمانا وما أعيا بجواب شاعر . فقالت :

إذا هبّتْ رياحُ أبي عقيلٍ ∴ دَعونا عند هَبّتها الوليدا
أشَمَّ الأنفِ أروعَ عبشميًّا ∴ أعانَ على مُروءتِه لبيدا
بأمثالِ الهضابِ كأن ركبًا ∴ عليها من بني حامٍ قُعودا
أبا وهبٍ جزاك الله خيراً ∴ نحرناها فأطعمنا الثريدا
فعُد إن الكريمَ له معادٌ ∴ وظنّي بابنِ أروى أن يعودا

فقال لها لبيد : أحسنت لولا أنك استطعمتيه ، فقالت : إن الملوك لا يُستحيا من مسألتهم ، وفي رواية أنها قالت : إنه ملك وليس بسوقه، ولا بأس باستطعام الملوك . فقال لبيد : وأنت يا بنيّة في هذه أشعر [2].

---

(١) الحيوان للجاحظ : ٦٥/٣ ، والكامل للمبرد : ١٥٤/١ .
(٢) ينظر ديوان لبيد : ٢٩٦ ، والشعر والشعراء : ٢٧٦ – ٢٧٧ ، والأغاني : ٣٣٠/١٥ .

إن قولي حسان ولبيد صادران عن رؤية فنية وخبرة نقدية بما يجب أن يكون عليه الشعر من صدق الإحساس وجمال التعبير والتصوير، وهو قول ليس مما ينشأ في لحظته ، وإنما هو ثمرة خبرات طويلة، ونتاج تجارب فنية ونقدية انتهت إليهما وأحسنا الانتفاع بها، فهما رضي الله عنهما فحلان من فحول الشعراء في الجاهلية والإسلام ، وكثيراً ما كانت العرب تسألهما عن أشعر الشعراء ثقة منها في ذوقهما ، ورغبة في الانتفاع برأيهما[1].

إن وصف عبد الرحمن بن حسان للزنبور أثلج صدر أبيه . وأفرحه لأنه رأى هذا القول بشيراً بأن ابنه سيكون شاعر مجيدا، وقد كانت العرب – وبخاصة الشعراء – يفرحون لنبوغ أبنائهم في الشعر. فزهير بن أبي سلمى كان ينهى ابنه كعبا – وهو غلام – من قول الشعر كي لا يكون نابها فيعيّر به [2].

وقد صدقت فراسة حسان ﷺ في ابنه عبد الرحمن فكان شاعرا مجيدا وبه اتصلت سلسلة الشعر في بيت حسان وعدّ العرب ذلك من مفاخره . يقول المبرد : (وأعرق قوم في الشعر آل حسّان . فإنهم يعدون ستة في نسق كلهم شعراء وهم : سعيد بن عبدالرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام)[3] ، فحسّان وأبوه وجده وأبو جده شعراء، وكذلك ابنه عبد الرحمن،وحفيده سعيد بن عبد الرحمن .

وقول عبد الرحمن بن حسان ليس موزونا مقفى على هيئته الشعر، ولكن حسان بن ثابت عدّه من قبيل الشعر لاشتماله على جودة التصوير ودقة التعبير، لأنه ﷺ يرى أن حقيقة الشعر وسرّه وروحه تكمن في روعة الخيال وبراعة التصوير وصدق التعبير عن

(١) ينظر : طبقات فحول الشعراء : ٥٤/١ ، ١٣١ .
(٢) ينظر شرح شعر زهير بن أبي سلمى لأبي العباس ثعلب: ١٨٣ .
(٣) الحيوان للجاحظ : ٦٥/٣ ، والكامل للمبرد : ١٥٤/١ . . .

مكنون النفس وما يجول فيها من ثورة العواطف وفيض الإحساس . فالشاعر الحق في رأيه هو من يفيض قلبه إحساسا فيفيض إحساسه شعراً ، وليس جديراً بأن يسمى شعرًا ما يخلو من الإبانة عن مكنون النفس وفيض المشاعر ، وإن كان موزونا مقفى ؛ لأن الشعر عنده لبّ المرء وعواطفه ومشاعره ، وفيض إحساسه .

ولبيد بن ربيعة استحسن جواب ابنته وعدّه أشعر من شعرها لدلالته على ذكائها وفطنتها وإدراكها أن الشاعر المادح الطالب للنوال والعطاء يجب ألا يقصد أهل الضعف والخساسة ولا السوقة والدهماء بل يقصد أهل الشرف والرياسة، ويتجه إلى أهل المكارم وبغاة العلا وأهل المروءات ، فهم الذين لا يُستحيا من مسألتهم ، وكانت هذه خصال الوليد بن عقبة ، فقد كان من فرسان قريش وشجعانهم ، ومن سرواتهم وأجوادهم[1].

وأيضاً لا يدفعه قول كفار قريش عن القرآن الكريم بأنه شعر. ونعتهم - زوروا وبهتانا - رسول الله ﷺ بقولهم « شاعر » لأن هذا القول منهم صادر عن عناد ومكابرة لعلمهم أن القرآن الكريم ليس موزونا مقفى كهيئة الشعر ، ولكنهم لجحودهم وإنكارهم نبوة محمد ﷺ قرنوا بين القرآن والشعر مع خلو القرآن الكريم من اطراد الوزن والقافية المحددين لشكل الشعر وهيئته عندهم . وهذا الموقف منهم يعكس وبعمق شدة تأثير القرآن الكريم فيهم بما اشتمل عليه من سحر البيان وروعة التعبير وقوة التأثير ، وإن كان هناك بون شاسع وفرق كبير بين القرآن الكريم والشعر الذي ألفوه وتذوقوه وبرعوا في نظمه وتأليفه .

إن كفار قريش حين وصفوا القرآن الكريم بأنه شعر لم يكونوا في غفلة بحيث يخفى عليهم خروج القرآن الكريم على الأوزان

(١) الاشتقاق لابن دريد : ٨٠ ، والإصابة ، الترجمة رقم : ٩١٤٨ .

والقوافي، ومخالفته نظام الشعر الذي ألفوه، وتفننوا في نظمه وأبدعوا في قوله ، فقد كانوا في ذلك الوقت في ذروة فطرتهم الخالصة من شوائب العجمة، وكانت معرفتهم بالشعر الذي هو ديوانهم معرفة وثيقة ، وكان تذوقهم له تذوقا فنيا قد ملك عليهم نفوسهم وألبابهم مما جعل تأثير الشعر عليهم تأثيرا عظيما . ولكنهم نظروا إلى تأثير القرآن فيهم بسحر بلاغته فوجدوه قد زاد على تأثير الشعر ، وأن موسيقاه اللفظية أقوى تأثيراً من موسيقى الشعر لانسجام تراكيبه ، وائتلاف معانيه مع ألفاظه ، بالإضافة إلى ما فيه من إخبار بالغيب وترقيق الوجدان وحسن التصوير والتمثيل . ولأنهم لم يألفوا هذا النوع من الكلام وكان الشعر عندهم ذروة البيان قالوا عن القرآن إنه « شعر» ونعتوا رسول الله ﷺ بقولهم « شاعر » وهو ما نفاه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (١). وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

ونلحظ أن القرآن الكريم نفى تعليم رسول الله ﷺ قول الشعر وأنه لا ينبغي له، ونفى أن يكون القرآن الكريم قول شاعر فقال : «وما هو بقول شاعر » ولم يقل « وما هو بشعر » للدلالة على أنه وحي من الله نزل به جبريل الأمين على قلب محمد ﷺ فما هو بقول بشر ولا تنزلت به الشياطين ، وليس فيه ما في الشعر من تمويه الحقائق بالكذب والخداع والتخييل وجميل القول وعذب الاسلوب. بل إن ما في القرآن الكريم من جمال بلغ حدّ الروعة في الأسلوب والتعبير والتصوير ناشئ من إخباره بالحق وتصويره حقائق النفوس تصويرا صادقاً ، بهدف تهذيب طباعها وإرشادها إلى الحق وهدايتها

(١) سورة يس : الآية : ٦٩ .
(٢) سورة الحاقة : الآيتان : ٤٠ – ٤١ .

إلى الطريق المستقيم ، فالقرآن لا يهدف بسحر بلاغته إلى ما يهدف إليه الشعر من تحريك الطباع واستمالة النفوس، والتأثير فيها بغية استجابتها لمراد الشاعر دون نظر إلى ما في مراده من خير أو شرّ . وصدق أو كذب ، وحق أو باطل .

وأيضاً الدلالة على أن القرآن الكريم مباين للشعر في شكله ومغاير له في روحه وسرّه ، حتى لا تتجه الأنظار إلى أنه نفي عن القرآن مظهر الشعر وشكله المتمثل في الوزن والقافية فحسب دون نظر إلى نفي روح الشعر وسرّه القائم على تمويه الحقائق والهيام في كل واد من أودية القول وإلباس الباطل ثوب الحق بالتخييل والتأثير الموسيقى.

يقول الدكتور محمد أبو الأنوار : (هذه التهمة من أعداء النبي هي في جملتها إضافة تعمق معنى إدراك العرب للشعر بأنه ليس الكلام الموزون المقفى كما حدد ذلك النقاد العرب في الفترة التي ظهرت فيها الدراسات الأدبية والنقدية حول الشعر ، ويمكن القول بأن العرب كان يشدهم إلى الشعر سرّه وليس شكله، وهذا السرّ مهما اختلفنا حوله فإنه يدور حول فكرة الجمال الفني المعتمد على حسن الخيال وجمال التمثيل، وتخفيف وقع الحقائق المباشرة على النفس. مع تغذية الوجدان وترفيه الحياة وترقيتها، وهو لا يبعد في ذلك عن تهذيب الشعور وإنضاج العقل بوسائله النفسية والفكرية) [1].

إن العرب لم يطلقوا اسم الشعر إلا على الكلام الموزون المقفى المعبر عن خلجات النفس ، وخفيّ المشاعر، ودقيق الأفكار والخواطر في أسلوب فني رائع، وتصوير خيالي بارع يسحر النفوس ويأخذ بالألباب ، وإذا كان بعضهم قد أطلق اسم الشعر على الكلام المنثور الخالي من الوزن والقافية كما فعل حسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة.

(١) من قضايا الأدب الجاهلي : ١٩ .

وكما فعل مشركوا مكة ، فما ذلك منهم إلا لكون هذا الكلام المنثور قد بلغ الغاية في دقة التعبير عن المشاعر والعواطف وزوعة التصوير للمعاني والأفكار ، وشدة التأثير في المتلقين ، فألحقوه لجماله الفني بالشعر وعدّوه قولاً شعريا .

إن الوزن والقافية من أهم عناصر الشعر، فهما الوسيلة لجعل اللغة شعراً، وإذا كنا لم نجد في أشعار الجاهليين وأقوالهم ما يشير إلى الوزن والقافية بوصفهما من عناصر الشعر، كما أشاروا إلى المبنى والمعنى والأسلوب والتراكيب وصدق التعبير عن اللبّ والقلب فما ذلك منهم إلا لما استقر في أذواقهم من أن الشعر لا يكون إلا بهما، وأنهما في ذاتهما لا يهبان الكلام صفة الشعر إذا كان خاليا من عناصر الشعر الأخرى ، فكما أن الإنسان لا يكون إنسانا حقيقيا بشكله وجرمه وهيئته إذا خلا من صفات الإنسانية وأخلاقها ، فكذلك الكلام الموزون المقفى لا يكون شعراً إذا خلا من روح الشعر وسرّه وجماله الفني النابع من صدق التعبير عن المشاعر وحُسن التصوير للعواطف والأفكار ، ويكون إطلاق اسم الشاعر على قائله مجازا لا حقيقة ، إذ ليس له إلا فضل الوزن ، وليس بفضل مع التقصير كما قال ابن رشيق [1].

إن الشعر في لغة العرب كل متكامل بأوزانه وقوافيه وألفاظه وأساليبه وصوره ومعانيه، وصدق دلالته على نفوس قائليه ، وقد عبّر عن ذلك الجاحظ بقوله : (وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ ، وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير [2].

---

(١) العمدة : ١١٦/١ .

(٢) الحيوان : ١٣١/٣ – ١٣٢ .

وكلمة (صناعة) في عبارة الجاحظ تعني المهارة والحذق والتفنن في بناء الشعر، وهو ما يطلق عليه النقاد في عصرنا الحاضر اسم الإبداع الفني أو الخلق الفني .

ويوضح المرحوم العلامة الشيخ محمود شاكر حقيقة الشعر وعناصره، وصفات الشاعر عند العرب فيقول : (لفظ الشعر في لسان العرب موضوع للدلالة على كل كلام شريف المعنى، نبيل المبنى ، محكم اللفظ ، يضبطه إيقاع متناسب الأجزاء، وينتظمه نغم ظاهرٌ للسمع ، مفرط الإحكام والدقة في تنزيل الألفاظ وجرس حروفها في مواضعها منه، لينبعث من جميعها لحنٌ تتجاوب أصداؤه متحدرة من ظاهر لفظه ومن باطن معانيه، وهذا اللحن المتكامل هو الذي نسميه « القصيدة » ، وهذا اللحن المتكامل مقسّم أيضاً تقسيماً متعانق الأطراف متناظر الأوصال ، تحدده قواف متشابهة البناء والألوان ، متناسبة المواقع، متساوية الأزمان ، هذا هو « الشعر » والذي يتوخى هذا الضرب الشريف النبيل المحكم من الكلام ، ويأخذه بحقّه ، ويبذله بحقّه ، فتصغى إليه الأسماع والألباب مأخوذة بسحره وجماله وجلاله ، هو « الشاعر » [1].

وقد ظهر في عصرنا من يدعو إلى هدم أوزان الشعر العربي وقوافيه ، فدعا بعضهم إلى نبذ القافية [2] لأنها – في رأيهم – عبء على الشاعر يَحُدُّ من انطلاقه وراء أفكاره وخواطره،وغلا بعضهم[3] فدعا إلى هدم بناء الشعر العربي وطمس معالمه،وتقويض أسسه الموسيقية المتمثلة في الوزن والقافية ، بدعوى أن الشعر في اللغة لا في الوزن والقافية، وأن العرب الجاهليين قد ورد عنهم إطلاق اسم « الشعر » على كلام منثور .

---

(١) قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام : ٣٧ .
(٢) هم دعاة الشعر الحر أو شر التفعيلة .
(٣) هم دعاة قصيدة النثر .

وهم في هذه الدعاوى غافلين أو متغافلين عن سر هذا الإطلاق، ومناسبته ودواعيه، ثم إنهم بهذه الدعاوى متأثرون بالأشعار الغربية الحديثة يتخذونها مثالاً يحتذى ، ذاهلين عن أن النقاد في الغرب يرون ضرورة الوزن والقافية في الشعر ، لأنهما عنصران أصيلان في بنائه .

يقول الناقد الفرنسي « جون كوين » : (الوزن ليس عنصرا مستقلا عن القصيدة يضاف إلى محتواها من الخارج بل جزء لا ينفصل عن سياق المعنى ، وهو بهذه الصفة لا ينتمي إلى علم الموسيقى بل إلى علم اللغة) [1] ، ويقول : (الوزن ليس زينة لا فائدة لها، وليس قيودًا تضايق حرية التفكير الشعري .. وهو وسيلة لجعل اللغة شعرًا)،وعن القافية يقول:(القافية من عناصر الشعر ، ووظيفتها الحقيقية لا تظهر إلا إذا وضعت في علاقة مع المعنى)[2] ، أما الشاعر الفرنسي« بانفيل »فإنه يرى أن القافية هي الشعر كله[3].

إن دعوى التخلي عن القافية مع بقاء الوزن ، أو التخلي عنهما معًا دعوى هدّامة لا خير فيها، لأنها تحرم الشعر العربي من أبرز خصائصه وأخص سماته التي نشأ عليها وعُرف بها واستقرت في سليقة العرب وذائقتهم الفنية قديمًا وحديثًا ، وحريٌ بمن يدعو بمثل هذه الدعوى أن يترك الشعر وشأنه للقادرين عليه ، ويأتي بما عنده ويسميه بما شاء من الأسماء غير اسم الشعر، الذي استقر في بديهة أصحاب اللسان العربي منذ أقدم العصور حدّه ورسمه ومفهومه وحقيقته وطبيعته الفنية حتى لا ينهدم صرح الشعر العربي، ويُحرم الأدب من آثار القادرين على التعبير الشعري الذين وُهبوا

(١) النظرية الشعرية : ٥٥ .
(٢) السابق : ٥١٣ .
(٣) النظرية الشعرية : ٥١٣ .

حظا من الشاعرية وأوتوا نصيبا من الملكة الفنية .

وقد وصف العقاد – رحمه الله – أصحاب هذه الدعاوى بعجز الملكة الفنية ، ونَعتَهم بعداوة تراث الأمة ومحاولة تقويضه ، يقول : (إن لم يكن نقص الملكة الفنية سبب العجز عن أوزان الشعر العربي، والدعوة إلى إبطال هذه الأوزان ، فهو إذن عمل من أعمال الهدم الصراح عن سوء نيّة، وخبث طوية، يتعمده المجاهرون به لتقويض معالم اللغة، ومحو آثار الأدب، وقصم العلاقة الفكرية بين روائع الثقافة العربية في مختلف العصور، وتلك شنشنة نعهدها في العصر الحاضر من دعاة الهدم المستترين وراء كلمات التقدم والتجديد.. إن هدم الفن الجميل الذي امتازت به لغة العرب بين لغات العالم لا يصدر إلا عن عجز أو إصرار على الهدم .. ولا خير في دعوة يتولاها العجز العقيم ، والضغينة النكراء) [1].

(١) اللغة الشاعرة : ٣٩ .

الخاتمة

بعد هذا العرض نستطيع القول بأن العرب الجاهليين كانوا يفهمون حقيقة الشعر فنهم الأول فهماً دقيقاً ، نابعاً من رؤية فنية أساسها عمق الإدراك ، ودقة الفهم ، وسلامة الذوق ، وأصالة الإحساس بجمال التعبير والتصوير اللغوي ، وأنهم حين أطلقوا على كلامهم الموزون المقفى مصطلحات (القافية – القوافي – القصيد – القريض) كانوا ناظرين إلى خاصية معينة في هذا الضرب من الكلام تتصل بشكله وهيئته ، أو بدوره ومهمته، أو بقائله وصنعته .

أما مصطلح (الشعر) فهو المصطلح الجامع الذي يحيط بكل ما يتصل بهذا الضرب من الكلام، ويدل على حقيقته وطبيعته إذ أصل الشعر عندهم هو العلم الدقيق بحقائق النفوس ، وخفيّات المشاعر والعواطف والوجدانات ، والفطنة لدقيق الخواطر والمعاني والأفكار ، والإدراك العميق لجوهر الحياة والأشياء ، فلا عجب أن احتفل العرب الجاهليون بالشعر، وأنزلوا قائليه من نفوسهم منزلة عالية ، وأحلّوهم بينهم محلا رفيعا ، فكانوا فيهم بمنزلة الأنبياء في الأمم .

لقد عرّف الجاهليون الشعر فقالوا : « الشعر لُبّ المرء » والتقاؤهم حول اللبّ يعني التقاء حول مفهوم ثابت للشعر يحدد حقيقته وطبيعته وقيمته ، لأن اللب هو أزكى ما في الإنسان، وأخص ما يتميز به ، إذ هو مجموع قوى الإنسان الواجدة والمدركة والعاقلة والمتأملة، به يتفاضل الناس ، ويتميزون فيما بينهم ، وقد وصف الله عباده المؤمنين الذين ملك عليهم الإيمان كل نفوسهم وقلوبهم وأفئدتهم وعقولهم ، واعملوا هذه القوى في كل ما يحيط بهم طلبا للحق ، ووصولاً إلى حقيقة الحياة والوجود، بأنهم أولوا الألباب .

إن مفهوم الشعر عند الجاهليين – كما بيّنا – يتمثل في أنه الكلام الموزون المقفى المعبر عن لبّ قائله ، والمصور لخلجات

نفسه، وحنايا روحه ، في لغة إيحائية مزدانة بأرق الألفاظ. وأحسن الأساليب ، وأجمل الصور ، وأعذب الأنغام ، يبعث في نفوس المتلقين قدراتها الذاتية على الإدراك ، ويبث في مشاعرهم الحياة والحيوية، فينفعلون مع الشاعر، يشاركونه مشاعره وعواطفه. ويتجاوبون مع رؤيته حقائق الكون والحياة كما انطبعت في وجدانه وارتسمت في صفحة لبّه، وانعكست على مرآة شعره .

وليس الشعر عندهم كلاما موزوناً مقفى يطلقه قائله على عواهنه ، وينطق به كيفما اتفق، وإنما هو بناء يتطلب من قائله عملاً شاقاً، وصنعة يجهد فيها الشاعر نفسه، ويستجمع له كل طاقاته العقلية والنفسية والذهنية والذوقية والجمالية لكي يحقق للشعر شرائطه وعناصره التي بها يجودُ ويحسُن حتى يستحق اسم الشعر . ويستحق صاحبه اسم الشاعر .

وأول هذه العناصر الصدق ، بمعنى صدق الشعور بما يجيش في النفس من مشاعر وأحاسيس، وبما يمور فيها من وجدانات وعواطف، وبما يجول في الذهن من خواطر ومعان وأفكار . لأن هذا الصدق الشعوري هو الذي يمنح عناصر الشعر الأخرى جمالها وحُسنها ، فهو يكسب المعاني دقتها وصوابها، وترابطها وتسلسلها وتناسقها، فيأتي الكلام آخذا بعضه بحجز بعض، وأيضاً يهدي الشاعر إلى اختيار أدق الألفاظ وأرق الأساليب للتعبير عما انفعلت له النفس وجال في اللبّ ، تعبيراً مزدانـاً بأجمل الصور، وأعذب الموسيقى .

وقد أفاض الشعراء الجاهليون في الحديث عن الصدق الشعوري وعن المعاني والألفاظ ، أما الصورة فقد أشاروا إليها بالوشي والتحبير، وكذلك الموسيقى عبروا عنها بلذة المقاطع وحلاوة الإنشاد وهم وإن لم يصرحوا بلفظ الصورة ولا بالوزن والقافية، فما

ذلك إلا لأن الصورة والوزن والقافية موجودة في الشعر بالفعل والقوة ، لأنها نتاج الشعور والمعنى واللفظ . . .

وقد رأينا فخرهم بصدقهم في التعبير عما تجيش به صدورهم من عواطف ومشاعر، وسبحهم وغوصهم وراء المعاني التي تجول في أفئدتهم وألبابهم ، وعنايتهم بإحكام بناء شعرهم بتثقيفه وحوكه ووشيه وتحبيره وتجهيزه بالألفاظ المختارة والأساليب الرائعة والصور البديعة والموسيقى العذبة ، لإدراكهم أن جودة الشعر وقوة تأثيره تأتي من صدق الشعور ودقة التعبير ، وجمال التصوير . وعذوبة الموسيقى والأنغام .

إن الشعراء الجاهليين كما توضح أشعارهم كانوا حريصين على أن يوفروا لشعرهم كل عناصره الشعورية والتعبيرية والعمل على تآلفها وتكاملها ، لأن هذا التآلف والتكامل هو مناط الشاعرية وسرّ الشعر وروحه ، وهو الذي يهب الشعر جودته وحسنه ، ويمنحه قوة التأثير ، ويقود إلى الاستمتاع به ، والامتثال لأحكامه ، والعمل بمقتضى مضمونه وأفكاره .

وختاما نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا متقبلا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

أ- الشعر :

١-ديوان الأعشى (الصبح المنير في شعر أبي بصير) : شرح أبي العباس ثعلب، طبعة آدلف هلز هوسن - الناشر دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت - الطبعة الثانية ١٩٩٣م .

٢-ديوان الأعشى الكبير : تحقيق الدكتور محمد محمد حسين . نشر مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٣-ديوان امرئ القيس : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر .

٤-ديوان امرئ القيس : تحقيق وشرح حسن السندوبي - دار إحياء العلوم - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٥-ديوان أوس بن حجر : تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم - دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٦-ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي : شرح مجيد طراد - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

٧-ديوان تأبط شرّا : إعداد وتقديم طلال حرب - دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

٨-ديوان الحارث بن حلزة : إعداد طلال حرب – الدار العالمية للطباعة والنشر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م .

٩-ديوان حسان بن ثابت : تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين – مراجعة حسن كامل الصيرفي – الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

١٠- ديوان حميد بن ثور الهلالي : تحقيق عبد العزيز الميمني – مصورة عن طبعة دار الكتب – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م .

١١- ديوان الخنساء : دراسة وتحقيق الدكتور إبراهيم عوضين – مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٩٥م .

١٢- ديوان الخنساء : شرح أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب . تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم – دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن – الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

١٣- ديوان عبيد بن الأبرص : شرح وتقديم الدكتور عمر فاروق الطباع – دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – د.ت .

١٤- ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد – مكتبة دار العروبة – القاهرة – الطبعة الأولى ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م.

١٥- ديوان لبيد : شرح الطوسي قدم له الدكتور حنا نصر الحتيّ - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

١٦- ديوان المعاني : أبو هلال العسكري ، شرح وضبط أحمد حسن بسج - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٧- ديوان ابن مقبل : تحقيق الدكتور عزة حسن - دار الشرق العربي - بيروت لبنان - حلب - سوريا ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

١٨- ديوان النابغة الذبياني : تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف مصر - د.ت.

١٩- ديوان الهذليين : طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٢٠- شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري : عبد الرحمن البرقوقي - دار الكتاب العربي - بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٢١- الرسالة الموضحة (في ذكر سرقات أبي الطيب وساقط شعره) : جمع وتحقيق حسن السندوبي - دار إحياء العلوم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٢٢- شرح ديوان الحماسة : الخطيب التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي - عالم الكتب بيروت - د.ت .

٢٣- شرح ديوان طرفة بن عبد البكري : شرح الأعلم الشنتمري - تحقيق الدكتور رحاب خضر عكاوي - دار الفكر العربي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٢٤- شرح ديوان عنترة : الخطيب التبريزي ، تقديم مجيد طراد - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٢٥- شرح ديوان كعب بن زهير : صنعة أبي سعيد الحسن السكري - شرح وتحقيق أنطوان القوال- دار الفكر العربي - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٢٦- شرح شعر زهير بن أبي سلمى : صنعة أبي العباس ثعلب - تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢٧- شعر بشامة بن الغدير : جمع وتحقيق عبد القادر عبد الجليل - مجلة المورد - المجلد السادس - العدد الأول - بغداد ١٩٧٧م .

٢٨- شعر خفاف بن ندبة : جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٦٨م .

٢٩- شعر طفيل بن عوف الغنوي : رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي - كرنكو - لندن ١٩٢٧م .

٣٠- كتاب الاختيارين : صنعة الأخفش الأصغر ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - مطبوعات مجمع اللغة العربية

بدمشق ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م - مطبعة محمد هاشم الكتبي .

٣١- معجم الشعراء : المرزباني أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ، تحقيق أحمد فراج ، الهيئة العامة لقصور الثقافة مصر سلسلة الذخائر ٩٣ .

٣٢- المفضليات : المفضل بن محمد بن يعلى الضبي - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، دار المعارف - مصر - الطبعة السادسة .

ب- اللغة :

١- أساس البلاغة : الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر - دار صادر - بيروت.

٢- الاشتقاق : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣- تاج العروس من جواهر القاموس : السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق عبد العليم الطحاوي - وزارة الإرشاد والأنباء- الكويت ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤- تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري - تحقيق إبراهيم الأبياري - دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧م ، سلسلة تراثنا .

٥- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني - تحقيق محمد علي النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثالثة

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٦- الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور عطار - دار العلم للملايين .

٧- الكتاب : سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر - مطبعة بولاق - الطبعة الأولى ، ١٣١٧هـ .

٨- لسان العرب: ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري - طبعة دار صادر، ودار بيروت - بيروت .

٩- مجالس ثعلب : أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار المعارف - مصر - الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . سلسلة ذخائر العرب .

١٠- معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ-١٩٨١م.

١١- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية بالقاهرة - الطبعة الثالثة

١٢- المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت . د.ت .

ثانياً : المراجع :

١- الاتجاه الفني في تراثنا النقدي والبلاغي : الدكتور محمد بن عبد العزيز السويلم ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي ببريدة ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

٢- الأديب وصناعته : مجموعة من النقاد الغربيين إشراف روى كادون - ترجمة جبر إبراهيم جبرا - ، بيروت ١٩٦٢م .

٣- أسرار البلاغة : الإمام أبو بكر عبد القاهر الجرجاني - قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر - الناشر مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة - الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٤- إعجاز القرآن : الإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني - تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

٥- الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة - نشر الهيئة المصرية العامة بالقاهرة ١٩٧٠- ١٩٧٤م .

٦- البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق عبد السلام محمد هارون - الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة - الطبعة الرابعة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٧- الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ - تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر - الطبعة الثانية - (د. ت) .

٨- دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٩- الزينة : أبو حاتم الرازي ، محمد بن إدريس بن المنذر - نشرة عبد الله السامرائي - مطبعة الأفاق - مصر (د.ت).

١٠-سؤالات أبي حاتم السجستاني للأصمعي : تحقيق د/ محمد عودة سلامة أبو جرى راجعه الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١١- الشعر والتجربة : أرشيبالد مكليش ترجمة : سلمى الخضراء الجيوشي مراجعة : توفيق صايغ ، منشورات دار اليقظة العربية - بيروت ١٩٦٣م.

١٢- الشعر والشعراء : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

١٣- طبقات فحول الشعراء : محمد بن سلام الجحمي قرأه وشرحه محمود محمد شاكر- مطبعة المدني القاهرة. الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .

١٤- العقد الفريد : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي - تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الإبياري - لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .

١٥- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : الحسن بن رشيق القيرواني - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٧٢م .

١٦- عيار الشعر : محمد أحمد بن طباطبا العلوي- شرح وتحقيق عباس عبدالساتر - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٧- النقد الأدبي : الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف القاهرة ١٩٦٢م .

١٨- قراءة ثانية لشعرنا القديم : الدكتور مصطفى ناصف - دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٩- قراءة الصورة وصور القراءة : الدكتور صلاح فضل - دار الشروق بمصر - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٢٠- قضايا النقد الأدبي الحديث : الدكتور محمد السعدي فرهود - مطبعة زهران - القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

٢١- قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام : أبو فهر محمود محمد شاكر - الناشر مطبعة المدني بالقاهرة ، ودار المدني بجدة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

٢٢- قيم ومعايير : عباس محمود العقاد - منشورات دار الجيل - بيروت ١٩٧٤م .

٢٣- الكامل في اللغة والأدب : أبو العباس المبرد ، محمد بن يزيد - الناشر مؤسسة المعارف بيروت ، د. ت .

٢٤- اللغة الشاعرة : عباس محمود العقاد ، دار غريب القاهرة - (د.ت) .

٢٥- المؤتلف والمختلف : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي - تصحيح كرنكو - مطبعة القدسي ١٣٥٤هـ .

٢٦- مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني : الدكتور محمد محمد أبو موسى - الناشر مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .

٢٧- مسائل فلسفة الفن المعاصرة : جان ماري جويو ، ترجمة وتقديم الدكتور سامي الدروبي- دار اليقظة العربية لتأليف والترجمة والنشر- الطبعة الثانية دمشق ١٩٦٥م.

٢٨- مفهوم الشعر عند العرب : الدكتور عبد القادر القط – دار المعارف – مصر ١٩٨٢م .

٢٩- مفهوم الشعر في التراث النقدي : الدكتور جابر أحمد عصفور – دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الدمام (د . ت) .

٣٠- مفهوم الشعر في ضوء نظريات النقد ، الدكتور عبد الرؤوف أبو السعد ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الأولى .

٣١- من قضايا الأدب الجاهلي : الدكتور محمد أبو الأنوار – الناشر – مكتبة الشباب – المنيرة القاهرة ١٩٧٦م .

٣٢- منهاج البلغاء وسراج الأدباء : أبو الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦م

٣٣- نضرة الإغريض في نصرة القريض : المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي – دار صادر – بيروت – الطبعة الثانية – ١٤١٦هـ .

٣٤- النظرية الشعرية : جون كوين – ترجمة وتقديم وتعليق ، الدكتور أحمد درويش – دار غريب – القاهرة – الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م .

٣٥- نهاية الأرب في فنون الأدب : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري – دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣٢م .